جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

شعر الطغرائي
في رؤى القدامى والمحدثين
قراءة تحليلية في ضوء نظرية القراءة

إعداد

د / هالة ربيع عبد العزيز عبد المالك

مدرس الأدب العربي القديم

كلية الآداب جامعة المنيا/ قسم اللغة العربية

(العدد الواحد والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)
الجزء الرابع (١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN)2536-9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٢/٦٢٧١م

شعر الطغرائي في رؤى القدامى والمحدثين
قراءة تحليلية في ضوء نظرية القراءة

هالة ربيع عبد العزيز عبد المالك
قسم اللغة العربية ، كلية الآداب، جامعة المنيا
البريد الإلكتروني: Hala.abdelmalek@minia.edu.eg

الملخص:
جاء هذا البحث بعنوان "شعر الطغرائي في رؤى القدامى والمحدثين _ قراءة تحليلية في ضوء نظرية القراءة"، وقد تم تناوله من خلال محورين رئيسين متكاملين: المحور الأول بعنوان: دراسة شعر الطغرائي في رؤى القدماء، والمحور الآخر بعنوان: شعر الطغرائي في رؤى المعاصرين، وذلك في ضوء نظرية القراءة، تلك النظرية التي شكلت ثورة على المناهج التقليدية السابقة عليها، عندما منحت القارئ مكانته في العملية الإبداعية بعد أن كان مُهمَلا، فالنص الأدبي لا يكون له معنى إلا عندما يُقرأ. وقد خلص البحث إلى مدى اختلاف القدماء والمحدثين في تناولهم لشعر الطغرائي، فإذا كانت معظم الدراسات القديمة التي تناولت شعر الطغرائي أخذت بعضها من بعض، وانصب معظمها حول الدراسات اللغوية والنحوية، فإن النقاد المحدثين استطاعوا وبقوة أن يطرقوا أبوابا جديدة في شعره لم تطرق من قبل برؤى وقراءات مختلفة، مستثمرين المناهج النقدية الحديثة في إعادة قراءة هذا الشعر الذي نظر إليه من قبل من خلال منظور جزئي يعتمد على التفسير اللغوي في معظمه. وخلص البحث أيضا إلى وجود فرق شاسع بين الدراسات التي دارت حول شعر الطغرائي بشكل عام، والدراسات التي دارت حول لاميته بشكل خاص، فقد لاقت اللامية اهتماما كبيرا في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة، فاختلف النقاد في قراءتها، وتعددت مناهجها وطرق دراستها، وهو الأمر الذي جعل شعر الطغرائي عامة ولاميته خاصة مادة خصبة للقراءة والدرس والتحليل.

الكلمات المفتاحية: القراءة، الشعر العربي في القرن الخامس الهجري، الشعر في عهد السلجوقيين، الطغرائي، لامية العجم.

Al-Tughrai's poetry in the visions of the ancients and the modernists
An analytical reading in the light of reading theory

Hala Rabie Abdel Aziz Abdel Malik
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Minia University
***E-mail**: Hala.abdelmalek@minia.edu.eg*

Abstract:

This research entitled: "Shear Alttoughraey Fi Roaa Alqudama Wa Almuhdatheen, Quiraa Tahlilyya Fi Dou' Nathariyyat Alquiraa'" has been handled through two main topics. The first one is a study in the poetry of Alttoughraey in the view of the ancients, and the second one is the poetry of Alttoughraey in the view of the modernists in the light of the Theory of Reading. This revolutionary theory has given the reader an effective role in the creative process of reading, as the text would be meaningless until it is read. This research have dealt with the difference between ancient and modern handling of the poetry of Alttoughraey. The ancient repetitive analysis focused only on the lingual and grammatical analysis of it. However, the modernist critics tread new and different ways in the analysis of his poetry using the new critical theories in rereading the poems. In addition, this research focuses on the difference between the studies conducted on the poetry of Alttoughraey in general and his "Lamiyya" in particular. His Lamiyya was greatly celebrated in the literary and critical studies as critics had read it different techniques, which made the poetry of Alttoughraey in general and his Lamiyya in particular a great subject for reading and analysis.

***Keywords**: Reading، Arab poetry in the fifth century, poetry in the era of Alseljouqiyyeen, Alttoughraey, Lamiyyat Alajam.*

(أ) المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد... تحمل هذه الدراسة عنوان: شعر الطغرائي[1] في رؤى القدامى والمحدثين قراءة تحليلية في ضوء نظرية القراءة، ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على ثمرات القدامى والمعاصرين لشعر أبي إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي الطغرائي

---

١ _ هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل مؤيد الدين الطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين وبعد الراء ألف ممدودة، الكاتب المنشئ. ولي الكتابة مدة بإربل وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ولما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود أول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي قال الشهاب أسعد وكان طغرائيا في ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب هذا الرجل ملحد يعني الأستاذ فقال وزير محمود من يكون ملحدا يقتل فقتل ظلما وقد كانوا خافوا منه فاعتمدوا قتله وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة وقيل ثماني عشرة وقد جاوز الستين.

ينظر: ياقوت (ت ٦٢٦ هـ): معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٠٨_ ١١٠، السمعاني (ت ٥٦٢ هـ): الأنساب، ج ١، ص ٤٣٥_ ٤٥٤، الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ): الأعلام، ج ٢، ص ٢٤٦، عمر كحالة (ت ١٤٠٨ هـ): معجم المؤلفين، ج ١، ص ٢٨، عفيف عبد الرحمن (ت ١٤٤١ هـ): معجم الشعراء العباسيين، ص ٢٥٣، ومصادرها ومراجعها...

_ والطُّغراء: الطرة تُكتب في أعلى الكتب والسائل فوق البسملة، تتضمن نعوت الكاتب وألقابه، وأصلها (طورغان) وهي كلمة تترية استعملها الروم والفرس ثم أخذها العرب عنهم، والطغرائي نسبة إلى الطغراء السابقة وهو صانعها أو كاتبها، وتجمع على طغراءات وطغريات، وهي علامة كانت ترسم على المناشير والمسكوكات السلطانية، وتتضمن نعوت الحاكم وألقابه. (المعجم الوسيط/ طَغَر، والمعجم الأساسي لاروس/ طَغَرَ).

(ت ٥١٣_ ٥١٤ هـ)، من خلال قراءة تحليلية/ نقد النقد، في ضوء معالم نظرية القراءة، كما حددها كل من إيزر (*Iser*) (ت ٢٠٠٧ م) وياوس (*jauss*) (ت ١٩٩٧ م)، بهدف تقويم حصاد تلك الثمرات ووضعها في مواضعها من نقد تراثنا الشعري العربي القديم.

وقد تناولت الباحثة هذ الموضوع من خلال مبحثين رئيسين يسبقهما مقدمة ومهاد تنظيري، ويعقبهما خاتمة وقائمة المصادر والمراجع. وفي المقدمة حددت موضوع البحث وأهدافه ومنهجه وتقسيمه ودراساته السابقة، وفي المهاد التنظيري توقفت بإيجاز عند مفهوم القراءة: أما المبحث الأول من الدراسة فقد تم تخصيصه لدراسة شعر الطغرائي في رؤى القدماء، وعُنِي المبحث الآخر بدراسة شعره في رؤى المعاصرين من خلال تقسيمهم فئاتٍ متكاملةً، بدأت بالمستشرقين وأصحاب كتب التراجم ومعاجم الشعراء وأصحاب دوائر المعارف والموسوعات فأصحاب الدراسات الأدبية والنقدية، فأصحاب المعارضات الشعرية، وفي الخاتمة لخصت الباحثة ثمرات بحثها وكشفت عن بعض توصياتها بخصوص دراسة شعر الطغرائي.

وذيلت هذه المقدمة بالإشارة إلى بعض الدراسات السابقة، وفي مقدمتها:

١_ بحث د. سرحان جفات:

دراسة د. سرحان جفات سلمان المعنونة بتلقي شعر الطغرائي_ دراسة في "الغيث المسجم في شرح لامية العجم" تقوم على تلقي الصفدي للامية الطغرائي من خلال كتابه "الغيث المسجم"، بمعنى انه قدم كيفية قراءة الصفدي وتلقيه لهذه اللامية، وقد قسم بحثه مبحثين: المبحث الأول بعنوان: تلقي المعنى وتمثلاته، وتناول فيه كيفية تلقي الصفدي معنى النص وكيف قدمه لمتلقين آخرين، وسعي الصفدي أن يكون شرحه أقرب لمعنى النص كما أراده مؤلفه.

ويؤكد سلمان في هذا المبحث "أن المعنى هو حصيلة تجربة حياتية وفنية، إذ الفنية صادرة عن الحياتية مركوزة فيها، وإن تلقي تجربة الشاعر في إنتاج المعنى ينبغي أن

يلحظ تحولات تجربته المعيشية، وما يبني عليها من تحولات في تجربته الفنية، كأن غنى أحداث حياة الشاعر لابد أن يفضي إلى غنى معاني نصه". [١]

وتتفق الباحثة مع ما ذهب إليه د. سرحان، فالإنسان غالبا ما يبدع تحت ضغط متأثرا بما يمر به من أحداث، سعيدة كانت أم حزينة، فمحنة عزل الطغرائي من منصبه الذي طمح إليه وربما طمح إلى ما هو أبعد منه، هي التي فجرت بداخله بركانا من الغضب والحزن والأسى، وطالما هو شاعر فمتنفسه الكلمة، فولدت معها رائعته الشهيرة التي احتلت مركز الصدارة في الدراسات قديما وحديثا، حتى أنه عرف بها عن باقي إنتاجه سواء النثري أو الشعري.

كما يقرر أن الصفدي يقترح مرتكزا آخر لتلقي معنى النص الشعري للطغرائي، وهي أن يجعل الشاعر تجربة إنتاج المعنى الشعري أوسع من التجربة الحياتية التي يحياها، وربما هذا يدخل الشاعر في مبالغة محمودة عند إنتاج المعنى، وأحيانا يخرج المعنى إلى حد الاستحالة، وأخذ سلمان في إيراد الشواهد من شرح الصفدي التي تؤكد ذلك.

بالإضافة إلى تلقي الصفدي لمعاني الطغرائي تلقيا تاريخيا، باحثا عن جذور المعنى، والسابق إليه، واللاحق عليه، كاشفا عن إضافات اللاحق السابق، وهو ما يمكن أن يسمى التعقب التاريخي، وأخيرا المفاضلة بينها، باعتبار "أن النص المشروح والنص الذي يرد في الشرح، هما نصان متجاوران، يلتقيان في دائرة اهتمام المتلقي".[٢]

وتظن الباحثة عكس ذلك، فطريقة شرح الصفدي وتشعباته الكثيرة، وذكره تقريبا لكل بيت من أبيات اللامية شبيهاته من النصوص وشرحها بل ونقدها يجعل الشارح يبعد كثيرا عن معنى النص الذي أراده مؤلفه، لا أن يقترب منه، بدليل أن معظم الشروح

---

١ _ سرحان جفات سلمان: تلقي شعر الطغرائي دراسة في "الغيث المسجم في شرح لامية العجم"، المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م، ص ١٣١.

٢ _نفسه: ص ١٣٢.

التي جاءت بعد الصفدي حاولت التخلص من هذه التشعبات الكثيرة التي لا شك تشتت ذهن القارئ.

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان: تلقي النص: أنماطه ولغته، أخذ سلمان في هذا المبحث تتبع أنماط التلقي في شرح الصفدي، وقد رأى أن تلقي النص هو مجهود فكري ونفسي واجتماعي، وقد رأى أن من أظهر المقولات الاجتماعية حضورا في تشخيص أنماط التلقي في كتاب الغيث المسجم مقولتا الفقر والغنى، إذ رأى "من أنماط التلقي في شرح خليل بن أيبك الصفدي للامية العجم ما اصطلح عليه البحث تلقي الفقراء وهو يقف بإزاء تلقي ذوي المعرفة، وهذان نمطان يكتنزان ضربين من الطبقية: أحدهما اجتماعي ممثلا بطبقة الفقراء، وآخرهما معرفي ممثلا بذوي المعرفة". [١]

كما أن "المتلقين عند الصفدي صنفان: متلق منصف، ومتلق متعنت، وكلاهما يصدر عن النص، غير أن المتلقي المنصف هو الذي يقرأ التكوين النصي قراءة إيجابية، أما المتعنت فهو مشروع دائم لقراءة سلبية للخطاب". [٢]

إن دراسة سلمان جفان هذه تعد أقرب الدراسات لموضوع هذا البحث، وإن كان سلمان قد اقتصر على تلقي اللامية دون شعره، كما اقتصر على تلقي الصفدي فقط واحدا من شراحها، دون الإشارة من قريب أو بعيد إلى الشروح الأخرى.

٣_ بحث الباحث حسن العريبي الخالدي:

جاء بحث العريبي المعنون ب "الطغرائي في آثار المصنفين"[٣] ليتسم بتنوع مصادره، وإن كانت الدراسات التاريخية نالت النصيب الأكبر، فقد ذكر الطغرائي في كتب التواريخ وعيون الأخبار وكتب الشيعة والمعاجم في أكثر من خمسين مرجعا، بينما

١_ سلمان جفات: ص ١٤٠.

٢_ نفسه: الصفحة نفسها.

٣_ حسن العريبي الخالدي: الطغرائي في آثار المصنفين، المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م، ص ١٨١.

جاءت الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت شعر الطغرائي قديما وحديثا يسيرة إلى حد كبير، كما أنه لم يشر إلى دائرة هامة من الدوائر التي تناولت الطغرائي وشعره، أقصد دائرة الاستشراق ورؤى المستشرقون.

ارتكز العريبي على المراجع التاريخية ونالت عنده نصيبا كبيرا، بينما جاءت الدراسات الأدبية والنقدية لشعر الطغرائي قليلة جدا، إذ أشار العريبي إلى العديد من كتب التواريخ والأدب، وإن جنحت الدراسة إلى التأريخ أكثر منه إلى الأدب، وإن كان هذا لا ينفي جهده، فكيفيه الرجوع إلى هذا الكم الهائل من المصنفات والكتب التي تناولت الطغرائي تاريخا أو أدبا، وقال العريبي في مقدمة بحثه عن الطغرائي: "وقد ألم البحث هذا بمصادر سيرته وعصره، وخصصت السلاجقة _ وهو في عداد مشاهير وزرائهم_ بالمظان التاريخية التي حفظت من أخبار وسير سلاطينهم ووزرائهم ما يتحصل منه المعرفة المرضية عنهم وعن آثارهم".

٤_ دراسة د. إبراهيم منصور بعنوان: "شروح لامية العجم دراسة تحليلية":

تناول فيها د. شروح لامية العجم بالدرس والتحليل والنقد، في كتابه" شروح لامية العجم"، ناظرا إليها على أنها ليست شروحا فقط، وإنما هي أعمال نقدية، شأنها في ذلك شأن الأعمال النقدية المعاصرة من قصة وشعر ومسرحية، التي رآها لا تعدو كونها شروحا. (١)

إن قول د. إبراهيم هذا قد يحالفه الصواب من ناحية أن بداية أي عمل نقدي أو أدبي لابد للقارئ أن يضع يده على ما يقصده مؤلفه، بمعنى أن يفهم النص، حتى يتمكن الغوص في هذا العمل واستنطاقه، ولكن لا تعدو هذه المرحلة إلا أن تكون مرحلة أولية أو قراءة أولى للنص، تأتي بعدها مرحلة النقد، وهذا لا يتم إلا من خلال

١_انظر: إبراهيم محمد منصور: شروح لامية العجم، دراسة تحليلية نقدية، دار الحضارة للطباعة والنشر/ القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ م، ص ٥.

قـارئ حصـيف يسـتطيع أن يقـدم قـراءة جديـدة للـنص، حتـى يمكـن القـول إن القـارئ بمقدوره أن يقدم نصا جديدا ينبت من رحم النص الأصل، وإن اكتفى القارئ بالوقوف على معنى النص فهو يعد شرحا وليس نقدا، فليس كل شارح ناقد.

٥_ رسالة ماجستير بعنوان:

"تلقـي الـنص الشـعري القـديم فـي ضـوء نظريـة التلقـي مؤيـد الـدين الطغرائـي نموذجـا" للباحثة: أسماء سويسي [١]، ولم يتح لي منها سوى الملخص، وقد جاء فيه أن الرسالة بُنيت على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة ومدخل، تناول الفصل الأول جمالية تلقي النص الشعري القديم، وعرجت الباحثة فيه على ذكر المعاني المتعلقة بجمالية التلقي، ووقفت علـى حـدّ التلقـي لـدى منظـري نظريـة التلقـي، وهمـا: ""يـاوس"" و ""إيـزر"" ومفاهيمهمـا حولـه، وجـاء الفصـل الثـاني ليتنـاول نـص الطغرائـي وتلقّيـه عنـد القـدماء والمحـدثين، فتطرقت الباحثة لتلقي العرب القدماء والمحدثين لـه، مشيرة إلـى أن الطغرائـي لـم يكـن حكرا عن العرب وحدهم، فكان للمستشرقين نصيب في تلقيه.

ورغم إشارتها الجيدة في هذا الجزء لكن يبدو أنها جاءت مركزة إلى حد كبير، ويظهر هذا في قولها: "فكان للمستشرقين نصيب في تلقيه من أمثال: "كارل بروكلمان" وغيره، رغم أن هذا الجزء نال نصيبا وافرا من عناية المستشرقين واهتماماتهم، وهو ما سيكشفه هذا البحث إن شاء الله، ويميط اللثام عن جهود المستشرقين ودراساتهم لشعر الطغرائي، خاصة لاميته.

أمـا الفـصل الثالـث فقد عنونتـه الباحثـة ب "نظـام الـنص الشـعري فـي الـنص الطغرائـي (لامية العجم نموذجا)" فأبرزت فيه _على حد قولها_ جمالية مقدمة لامية العجم فبحثت في جاذبية جمالية مقدمة لامية الطغرائي، وفصلت في معجمه الشعري فتطرقنا بإيجاز

١_ أسماء سويسي: تلقي النص الشعري القديم في ضوء نظرية التلقي مؤيد الدين الطغرائي نموذجا، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عمر الثليجي الأغواط/ الجزائر ، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٣/ ٢٠١٤ م.

الى مختلف المستويات (الدلالية، التركيبية، النحوية، والبلاغية)، وكذا تمظهر مختلف النصوص (القرآنية، أمثال أو حكم، أو نصوص شعرية عربية) وتداخلها في نص لامية العجم للطغرائي.

وربما كان هذا الفصل تحديدا نواة لدراسات كثيرة تناولت التناص في شعر الطغرائي بأشكاله المتعددة، أو دراسات أسلوبية أو لغوية أو بلاغية، مما سيرد ذكره في الصفحات القادمة إن شاء الله. كما يبدو _ من خلال النظرة الجزئية للملخص_ أن هذا الفصل افتقر إلى الحديث عن معارضات الشعراء لشعر الطغرائي بعامة وشعره بخاصة، وهو ما سيكشف عنه هذا البحث بشيء من التفصيل.

(ب) مهاد تنظـيري: (في مفهوم القراءة)

تتناول الباحثة في هذا المهاد التنظيري مفهوم القراءة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي في النقد المعاصر.

أ_ القراءة في اللغة:

جاء في العين: "قرأ: قرأت القرآن عن ظهر قلب. أو نظرت فيه. هكذا يقال: قرأت إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث. وقرأ لان قراءة حسنة. فالقرآن مقروء وأنا قارئ. ورجل قارئ عابد ناسك. وفعله التَّقرِّي أو القراءة". (١)

وجاء في لسان العرب "*قرأ* القرآن: التنزيل العزيز، وإنما قُدِّمَ على ما هو أبسط منه لشرفه. وقرأت الشيء قرآنا: جمعتُه وضممتُ بعضَه إلى بعض. ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا، أي ألقَيْتُهُ. واستقرأه: طلب إليه أن يقرأ. ورجل قَرَّاء: حسن القراءة من قوم قرَّائين، ولا يُكَسَّرُ. وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه وأقرأه إياه: أبلغه. والقَرْء: الوقت ".(٢)

وجاء في المعجم الوسيط: "(قرأ) الكتاب_ قراءة، وقرآنا: تتبع كلماته نظرا ونطق بها. وتتبع كلماته ولم ينطق بها، وسميت(حديثا) بالقراءة الصامتة... (اقترأ) القرآن والكتاب: قرأه. (تقرَّأ) تنسك_ وتفقه. (استقرأه) طلب إليه أن يقرأ. (الاستقراء) تتبع الجزئيات للوصول إلى نتيجة كلية". (٣)

وجاء في المنجد الوسيط: " قرأ: قراءة .تتبع بالنظر نصاّ مكتوبا أو مطبوعا ونطق بكلماته. "قرأ جريد". "قرأ رسالة". "قرأ قصة" تتبع بالنظر نصاّ مكتوبا أو مطبوعا بدون

١_ الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، تحقيق و مراجعة داود سلوم، وزميليه، مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م، ص ٢٦١.

٢_ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله عليّ الكبير وزميليه، دار المعارف/ القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ٣٥٦٣: ٣٥٦٦، مادة (قرأ).

٣_ المعجم الوسيط: مادة قرأ، مجمع اللغة العربية/ القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤ م، ص ٧٢٢.

أن ينطق بكلماته .وذلك ما سمي حديثا بالقراءة الصامتة. قرأ قطعة موسيقية لأوّل وهلة .تنبأ وتكهن بالمستقبل أو الغيب " قرأ في الكف " " قرأ بين السطور "فهم الأمر المضمر .أدرك ما تخبئ الكلمات من معنى .أقرأ :فلانا جعله يقرأ. السلام أبلغه إيّاه . قرأ بين السطور فهم الأمر المضمر.. قرءًا وقرآنا: الشيء: جمعه وضم بعضه إلى بعض". [١]

وأورد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): "قرأ: قرأتُ الكتاب واقترأتُه، وأقرأته غيري، وهو من قَرْأَة الكتاب، وفلان قارئ وقرَّاء: ناسك عابد، وهو من القرَّاء.. وقد تقرَّأ فلان: تنسَّك. واقرأ سلامي على فلان، ولا يقال اقرأه مني السلام".[٢]

وبالنظر إلى معنى "القراءة" في المعاجم اللغوية العربية وجدت الباحثة أنها تكاد تجمع على أن الاشتقاق اللغوي للفظ "قرأ" يأتي بمعنى الضم والجمع، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التلاوة والترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ، قراءة، وقرآنا، ومنه قوله تعالى الوارد في سورة القيامة: إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه".[٣]

ب_ <u>القراءة في الاصطلاح:</u>

إن أشهر تعريفا للقراءة هو ما ورد في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ما يلي: القراءة *lecture* "و(القراءة) هي فك كود الخبر المكتوب، وتأويل نص أدبي ما، و(القراءة الجمعية) تأويلات متعددة لنص عبر مستويات مجازية غالبا ". [٤]

١_ المنجد في اللغة العربية المعاصرة: دار المشرق، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م، ص ١١٣٥: ١١٣٦.
وانظر: المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق/ بيروت، ط ٣٦، ١٩٩٧ م، ص ٦١٦، مادة (قرأ).
٢_ أساس البلاغة: تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م، ج ٢، ص ٦٣_ ٦٤.
٣_ سورة القيامة: الآيتان ١٧_ ١٨.
٤_ سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني/ بيروت، ١٩٨٥ م، ص ١٧٥.

كما أن التمييز بين مصطلح القراءة في التداول العادي، ومصطلح القراءة في دائرة المصطلح النقدي أمر صعب للغاية "فإذا كانت القراءة تعني أولا وأخيرا الفهم، فإن فعالية الفهم، مشتركة بين مستعملي القراءة. فإن أقرأ كتابا، فهذا يعني في الفهم العادي، أن ألم بشتات المعرفة التي يحتوي عليها، بعد أن أفك رموز الخط الذي كتبت به، لأن الفهم لن يأتي إلا بعد قراءة الخط أولا". (١)

إن القراءة ضرورة إنتاجية وليست مجرد عملية تهجية للحروف، إنها عملية المشاركة في الإبداع، إن لم تكن هي الإبداع نفسه، من ثم اعتبرت القراءة بمثابة نشاط نفسي أو استجابة داخلية، واعتبرت بمثابة ظاهرة اجتماعية وتاريخية، واعتبرت بمثابة تجليات دينامية لمعطيات ثقافية ومعرفية، وهذا يعني بالضرورة أنه قد تم النظر إليها من زوايا متعددة، فكانت هناك أبحاث في سيكلوجية القراءة وفي سوسيولوجية القراءة وفي جمالية التلقي وغير ذلك.

وكان نتيجة الحراك الثقافي والفكري الذي نشهده اليوم وتنوع في النتاجات الأدبية والفنية؛ أصبحنا نرى مساهمة فعالة في دور القارئ بعملية النقد بصورة مباشرة وغير مباشرة، الأمر الذي هيأ بدوره إلى ظهور نظرية القراءة والتلقي. فلم يعد دور "القارئ" دورا سلبيا في علاقته بالنصّ، بل أصبح مشاركا فيه وفي صنع جمالياته.

فتاريخ الأدب يكتسب سيرورته من خلال ردود أفعال القراء تجاه نص من النصوص، ومن خلال هذه السيرورة تتضح المسافة الجمالية بين أفق كل نص وأفق انتظار كل قارئ. هذه الطريقة تمكن مؤرخ الأدب من تمييز الأعمال التي انقطع تأثيرها عن الأعمال التي استمر تأثيرها على مر العصور.

وقد عبر إيزر (*Iser*) عن ذلك، بقوله: "إن الميزة الأساسية لتاريخ التأويل هي أن الأسئلة المطروحة فيما مضى تظل مؤثرة عندما تصاغ أسئلة جديدة، فهي لا تغيب عن النظر فقط، ولكنها تتحول إلى علامات الطريق المسدود. فالصعوبات الناشئة عن

١_ت، تودوروف: القراءة كبناء، ترجمة محمد اديوان، مجلة الفكر العربي المعاصر/ لبنان، العددان ٦٠ و٦١، ١٩٨٩ م، ص ١٠٦. ١١٣.

الأسئلة القديمة تؤدي إلى طرح أسئلة جديدة. ولهذا فإن الأسئلة القديمة تمهد الطريق للأسئلة الجديدة. لذلك فإن الانشغال الكلاسيكي بقصد المؤلف أدى إلى اهتمامنا باستجابة القارئ للنص... [١]

إذ تظهر جمالية التفاعل من خلال مرور القارئ عبر مختلف وجهات النظر التي يقدمها النص ويربط الآراء والنماذج المختلفة بعضها ببعض، هذا الفعل الحركي الذي يقوم به القارئ يجعل العمل الأدبي في دينامية مستمرة، من خلال تقديم قراءات متعددة كاشفا عن مكوناته وخباياه. فيصبح الشيء الأساس في قراءة العمل الأدبي، حسب هذه التوجهات، هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه، فالنص يستمد حيويته من القراءة الفاعلة التي تتجاوز المتواليات اللفظية إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

إن قراءة العمل الأدبي بأي حال من الأحوال لا تتم إلا من خلال بناء علاقاته بقرائه المتعاقبين، من خلال محاولة جدية للتغلب على المسافة التاريخية التي توجد بين الماضي والحاضر، فتاريخ القراءات بالنسبة ل(ياوس) تأتي أهميته من خلال الدور الذي يؤديه في مد جسور الحوار والتواصل بين الماضي والحاضر والإفادة من قراءات الأوائل واستثمارها في فهم النص الأدبي. وانطلاقا من هذا التصور عمل (ياوس) على سد الفجوة القائمة بين العمل الأدبي والتاريخ العام، أو بين المعرفة الجمالية والمعرفة التاريخية، وذلك من خلال تأكيده أن الجوهر التاريخي للعمل الأدبي لا يمكن أن يتضح من خلال فحص إنتاجه أو وصفه فقط، وإنما ينبغي أن نعالج الأدب بوصفه عملية جدلية بين الإنتاج والتلقي، هذه الجدلية المستمرة بين الإنتاج والتلقي هي التي توفر إمكانيات القراءة والتأويل للأعمال الأدبية. [٢]

---

١ _ إيزر: آفاق نقد استجابة القارئ، ضمن كتاب "من قضايا التأويل والتلقي " منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط:١،١٩٩٤ ص:٢١٥.

٢ _ روبرت هولب: نظرية التلقي_ مقدمة نقدية، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ١٠٣.

والنصوص الأدبية تقرأ في كل عصر بشكل مختلف، تبعا للمتغيرات التي تطرأ عليه بشكل أو بآخر، فالقراءة الجادة التي يقوم بها القارئ هي القراءة التي تبحث عن المتعة الجمالية التي تنتجها تلك النصوص، وهنا يكمن دور القارئ الحقيقي في استنطاق جماليات هذه النصوص، فلم تصبح القراءة إذا ذلك الفعل البسيط، وليست هي كذلك القراءة التقليدية التي تكتفي بتلقي الخطاب تلقيا سلبيا، وإنما هي فعل خلاق يضم الرمز إلى الرمز والعلامة إلى العلامة، ويسير في دروب ملتوية من الدلالات. (١)

وإذا انتقلنا إلى العوامل التي ساهمت بقدر كبير في أن يحظى القارئ ببؤرة الاهتمام بعد أن كان مهمشا، نجد في مقدمتها: ارتقاء مستوى القارئ حتى أن مستوى بعض القراء اقترب كثيرا من مستوى المؤلف بل وفاقه أحيانا، هذا القارئ المثقف المتخصص يمتلك من أدوات الفهم والتحليل ما جعله يخطو بعملية القراءة خطوات واسعة جعلته يشارك في إنتاج النص وتأويله، وفي هذا التأويل لا يكتشف القارئ إمكانات النص وإنما يكتشف إمكاناته هو أيضا. (٢)

من هنا يكون ما يقوم به القارئ بمثابة بحث عن كيفية إنتاج المعنى، فليست مهمته هنا البحث عن المعنى المتشكل سلفا في النص، وإنما أصبحت مهمته هي الكشف عن المعنى المتشكل داخل بنية الإدراك (المتلقي). (٣)

وقد تناول الدارسون مصطلح "القراءة" من زوايا مختلفة، بحسب توجهاتهم ومرجعياتهم الأدبية، من ثم اختلفت الرؤى حول تحديد مفهوم "القراءة"، فما المقصود

---

١ _ ينظر: سامي إسماعيل: جماليات التلقي، المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م، ص ١٣.

٢_انظر: جين ب. تومبكنز: نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة حسن ناظم وعليّ حاكم، مراجعة وتقديم د. محمد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩ م، المقدمة ص ٩: ص ١٠.

٣ _ خالد وهاب: جمالية التلقي والتأثير في ثلاثية أحلام مستغانمي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة/ الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥ _ ٢٠١٦ م، المقدمة، ب.

بالقراءة مصطلحا نقديا؟ وهل نجحت هذه النظرية بالفعل في رد الاعتبار للقارئ؟ وما أبرز المرتكزات التي بنيت عليها هذه النظرية؟

نظرية القراءة وجمالية التلقي:

جاءت هذه النظرية لتثور على المناهج التقليدية السابقة، التي اتخذت من السياقات التاريخية والنفسية والاجتماعية ركائز لها لولوج النص وفك رموزه، كما ثارت على المناهج البنيوية التي ترى النص مجموعة من العلامات اللغوية التي تغنينا عن النظر إلى السياقات التي جاء في إطارها ، وذلك عبر التفكيك وإعادة التركيب، ورغم هذا لم تنشأ بمعزل عن المناهج والحقول المعرفية التي سبقتها، ولكنها استفادت بشكل كبير من الشكلانية الروسية، وبنيوية براغ، وغيرها، وكان أهم ما ارتكزت عليه هذه النظرية استثمارها لفلسفتين عرفتا في ألمانيا خاصة وهما: الظاهراتية، والهرمينوطيقا.

إن نظرية القراءة والتلقي تستند إذا على مرجعيات ذات مصادر فلسفية ومعرفية متنوعة، وقد حدد (هولب) خمسة مؤثرات كان لها دورها في إرهاصات نظرية التلقي، وهي: الشكلانية الروسية، وبنيوية براغ، وظواهرية رومان انجاردن، وهرمونيطيقا هانز جورج جادامر، وسيسيولوجيا الأدب. وقد عرض لكل مؤثر بشيء من التفصيل من خلال فصل بعنوان: المؤثرات والإرهاصات. [١]

وقد نشأت نظرية القراءة بوصفها نظرية نقدية جديدة تقوم على استلهام تلك التصورات والتغيرات ومحاولة استيعابها، وذلك من خلال تحويل الاهتمام من المؤلف والنص إلى القارئ والنص، فالقراءة ما هي إلا إعادة كتابة النص، ومحاولة فهم النص الأدبي وتأويله وقراءته لا تتم إلا من خلال الدور الذي يقوم به القارئ في هذه العملية، نظرية تهتم بالقارئ باعتباره المستهدف في أي عمل أدبي و دوره الفعّال في قراءة النصوص وتحليلها من خلال العلاقة التفاعلية بينه و بين النص. لذا نجحت وبقوة في

١ _ انظر: روبرت هولب: نظرية التلقي، ص ٤٧: ص٨٨.

إعادة الاهتمام بالقارئ وجعلته محورا أساسيا في العملية الأدبية، لكونه المعني الأول بالخطاب الأدبي ولكونه الطرف المباشر في التفاعل مع النص وصياغة معناه.

القراءة بين ياوس *jauss* وإيزر *Iser*:

يمثل كل من (ياوس) و(إيزر) قطبي نظرية التلقي، فنجدهما يتفقان في العموم بينما يختلفان في الخصوص أو التفاصيل، فقد انطلقا من نقطة واحدة ومرتكز واحد وهو الاعتراض على أسس المقاربات البنيوية والنصوصية بعامة، والتشديد على أهمية دور المتلقي في قضيتين أساسيتين هما: تطور النوع الأدبي وبناء المعنى، ولكن اهتم ياوس بتاريخ الأدب وتطور النوع، بينما اهتم إيزر بقضية بناء المعنى، وطرائق تفسير النص.. [١]

أولا: القراءة عند ياوس: *Hans Robert jauss*

يُعَدُّ هانس روبرت ياوس من أنشط رواد " جمالية التلقي " الذين دافعوا عن تجاوز النظرة الأحادية في تقويم الأدب، وطالبوا بفهم القراءة على أنها فعل تحاور وجدل بين النص ومتلقيه أو بين النص وعملية التلقي التي يحركها وتحركه؛ فالنص الأدبي _عنده_ بنية تقديرية ولذا فهو يحتاج إلى دينامية مستمرة تنقله من حالة الإمكان إلى حالة التحقق؛ بمعنى أنه لا يجوز القول بوجود المعنى النهائي في النص، وإنما يتولد معناه من خلال فعل القراءة وعلاقة النص بقارئه، وبذلك يكون ياوس قد عمل على نقل الاهتمام من ثنائية الكاتب/النص، إلى جدلية (النص/ القارئ). [٢]

ويرى ياوس "أن التعامل مع النص إنما يتم بمعيارين، لا غني لأحدهما على الآخر، وهما: معيار الإدراك الجمالي لدى المتلقي، ومعيار الخبرات الماضية التي يتم

١_ عبد الناصر حسن: نظرية التلقي بين ياوس وآيزر، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٣٣.

٢_ محمد خرماش : فعل القراءة وإشكالية التلقي ، ، بحث مقدم لمؤتمر النقد الأدبي السابع ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن، ١٩٩٨ م.

استدعاؤها في لحظات التلقي". [١] فقد أدرك (ياوس) *jauss* أهمية ربط الماضي بالحاضر، فعندما يتصل الماضي بالحاضر فإن الخبرات المعرفية والتراكمات الثقافية تزداد لدى المتلقي، مما يؤهله لأن يكون قادرا على استكناه المستقبل أو التنبؤ بما سيحدث في النص الأدبي ذلك عن طريق ما أسماه ياوس " أفق التوقعات".

من ثم صب (ياوس) اهتمامه على العلاقة بين التاريخ والأدب، محاولا تخليص الأدب الألماني من سيطرة المذهب الماركسي والمذهب الشكلاني في النقد، لما بينهما من التعارض، فالقارئ الماركسي يتعامل مع النص على حسب التفسير التاريخي المادي، فهو بمعزل عن جمالية النص، وأما المذهب الشكلاني فيقف مع النص على أساس البناء الشكلي بمعزل عن التاريخ. [٢]

فعل القراءة وبناء المعنى عند فولفانج إيزر *wolfgang Iser*:

يعد إيزر *Iser* ثاني اثنين كان لهما أكبر الأثر في لفت الأنظار إلى نظريات القراءة بعامة وجماليات الاستقبال بخاصة، فقد شارك إيزر ياوس في تدعيم ركائز نظرية جمالية التلقي. فقد أكد إيزر *Iser* أيضا على الاهتمام بالقارئ الذي أهملته نظريات النقد السابقة، فقد اهتم بتشكل النص في وعي القارئ الذي يسهم في بناء معناه.

وهذا يعني أن الإنتاج الأدبي لا يتطابق مع النص الأصلي ولا مع القراءة، وإنما هو الأثر الذي يحدث نتيجة تفاعل القارئ مع ما يقرأه، وقد أراد أيزر _على النقيض من التفسير التقليدي الذي حاول أن يوضح المعنى الخبئ في النص_ أن يرى المعنى بوصفه أثرا يمكن ممارسته، وليس موضوعا يمكن تحديده.. ذلك بأنه إذا كان الموضوع

١_محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي، بين المذاهب الغربية الحديثة والتراث النقدي دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ،١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦م، ص ٢٨.

٢_ نفسه: ص ٢٧.

الجمالي لا يتشكل إلا من خلال فعل التعرف من جانب القارئ، فإن التركيز عندئذ ينتقل من النص بوصفه موضوعا إلى فعل القراءة بوصفه نشاطا علميا، ومعنى هذا أن بناء المعنى ناتج عن تدخل القارئ وتفاعله مع النص المقروء، وذلك عن طريق ملء الفراغات، أو " البياضات " التي تتخلل النص. [١]

وفي هذا يقول إيزر:" من اللازم أن تكون لهذه البنيات طبيعة معقدة، ذلك أنه بالرغم من أنها متضمنة في النص وأن هذه البنيات فإنها لا تستوفي وظيفتها إلا إذا كان لها تأثير على القارئ". [٢] باعتبار أن القارئ هو العنصر الذي يخاطبه النص، فالتفاعل الذي بينهما هو الذي يسهم في إنتاج المعنى، فالعمل الأدبي لا يحقق وجوده إلّا بحضور النص والذّات القارئة معًا.

ويرى (إيزر) أن للعمل الأدبي قطبان: القطب الأول هو القطب الفني والقطب الآخر هو القطب الجمالي، فالقطب الفني هو الذي يكمن في النص كما أبدعه مؤلفه، أما القطب الجمالي فيكمن في عملية القراءة وهي القراءة التي ينتجها القارئ، تلك القراءة التي تخرج النص من حالته المجردة إلى حالته الملموسة وذلك من خلال تأويله وتقديم قراءات متعددة له.. فجوهر نظرية التلقي يكمن في ذلك التفاعل بين القارئ وبنية النص. [٣]

إن أهم شيء في العملية الأدبية من وجهة نظرية القراءة هي تلك المشاركة الفعالة بين النص والقارئ؛ وهذا يعني أن الفهم الحقيقي للأدب ينطلق من خلال وضع القارئ في مكانه الحقيقي وإعادة الاعتبار له باعتباره ليس فقط مستقبل النص ولكن مستهلكه

١_ينظر: روبرت هولب: نظرية التلقي (مقدمة نقدية)، ترجمة عز الدين إسماعيل، ص ١٣٥، ص ١٤٨.

٢_ فولفغانغ إيزر: فعل القراءة_ نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، ترجمة د. حميد لحمداني، د. الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص ١٢: ص ١٣.

٣_انظر: فولفغانغ إيزر: فعل القراءة ونظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة: حميد لحمداني الجلالي، منشورات مكتبة المناهل فاس، المغرب، ص ١٢.

أيضا، فهو القارئ للنص تلذذا ونقدا وتفاعلا، وهذا يعني أن العمل الأدبي لا تكتمل حياته وحركته الإبداعية إلا عن طريق تلك القراءة التي تعيد إنتاجه من جديد.

هذا وترتكز نظرية التلقي على ثلاث ركائز رئيسية، هي: القارئ، وبناء المعنى، وأفق التوقع، فالقارئ: هو محور نظرية التلقي تلك النظرية التي شكلت ثورة كبيرة في تاريخ الأدب، عندما أعادت للقارئ اعتباره بعد أن كان مهملا، وبوأته المكانة اللائقة على عرش الاهتمام الذي كان قسمة بين المؤلف والنص من قبل، فلم يعد القارئ عنصرا سلبيا يقتصر دوره على الانفعال بالعمل فقط، بل تعداه إلى تنمية طاقة تساهم في صنع التاريخ، من ثم أصبح القارئ ضمن الثالوث المتكون من المؤلف والعمل (النص) والجمهور. [١]

وبناء عليه أصبح النص يعيش تحت سلطة القارئ ووعيه أكثر مما ينعم بالحياة والراحة عند صاحبه، وإذا كان الاهتمام بالقارئ يشترك فيه جميع منظري التلقي فإن الاهتمام انصب حول تحديد سمات هذا القارئ، حيث خلص الدكتور إدريس بلمليح إلى تحديد أربعة أنماط من القراء: القارئ النموذجي، والقارئ الخبير، والقارئ المقصود، والقارئ الضمني. [٢]

---

١ _ انظر: هانس روبيرت ياوس: جمالية التلقي_ من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة، ٤٨٤، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م، ص ٤٠.

٢ _ القارئ النموذجي: الذي استعمله المفكر الأسلوبي مكاييل ريفاتير ليحدد في ضوئه مظاهر القراءة الأسلوبية التي تتطلب شخصا متمرسا كل التمرس بنظام لغة الشعر، ومدركا لطبيعة الاختلاف بين هذه اللغة وبين اللغة اليومية، والقارئ الخبير: ويتلخص فعله بالسعي الدائم إلى إخصاب مضامين النصوص، وتوسيع دائرة المعلومات التي تنطوي عليها، هادفا إلى اعتبار النصوص وثائق أفكار وأحاسيس تنقلها اللغة، والقارئ المقصود: وهو من توجه إليه النص حين ظهوره المبدئي أي الذات الجماعية التي عاشت الأوضاع التاريخية للمبدع، ثم الذات القادرة على أن تعيد بناء تصورات المقصد المباشر لهذا النص، والتي تشكل استمرارا مباشرا للنص، وتقمصا جديدا لفعله، في إطار نوع من التكامل بينهما، وأخيرا القارئ الضمني، يرى د. بلمليح أن امبرتو ←←←

إن الاحتفال بالقارئ عند رواد نظرية التلقي واكبته نظرة جديدة إلى هذا القارئ؛ نظرة تهدف إلى تجاوز سلبيته التي راكمتها قرون إهماله، فأصبح القارئ صاحب فعل جديد يصل إلى حد المشاركة في صنع المعنى لأن "القارئ الذي يتوقف عند مرحلة "فهم المعاني اللفظية" أي العلامات اللغوية داخل أنساق يحكمها قانون التوحد بين طرفي العلامة، ليس هو القارئ الذي يتحدث عنه أصحاب نظرية التلقي، لأن هذا القارئ لن يكون قادرا على ملء فراغات النص، وقيام القارئ بملء فراغات النص هو جوهر التلقي. [١]

ثانيا: بناء المعنى:

يتحقق المعنى عند (أيزر) و (ياوس) نتيجة التفاعل بين القارئ والنص، ويصبح هذا المعنى من إنشاء القارئ ولكن في الوقت ذاته لا يحدث إلا من خلال إرشاد التوجيهات النصية.. من ثم يمكن القول إن (إيزر) و(ياوس) لم يهتما بما هو متكون وإنما بما يمكن أن يتكوَّن، أي بتشكل النص في وعي القارئ الذي يسهم بالضرورة في بناء معناه، وقد أوضح عز الدين إسماعيل هذا قائلا: "لقد فهم ياوس التفسير على أنه نشاط القارئ في فهم النص، وكذلك الشأن بالنسبة ل إيزر الذي ذهب إلى أن المعنى لا يستخرج من النص، أو تشكله المفاتيح النصية، بل الأحرى أنه يتحقق من خلال التفاعل بين القارئ والنص، والتفسير عندئذ لا يستلزم استكشاف معنى محدد للنص".[٢]

→→→

إيكو هو أول باحث حدد هوية هذا القارئ، إذ يمثل المقصد الذي يوصله نشاطه التعاوني إلى استخراج ما يفترضه النص ويعدنا به لا ما يقوله النص في حد ذاته، إضافة إلى ملئه الفضاءات الفارغة وربطه ما يوجد في النص بغيره مما يتناص معه.(انظر: د. إدريس بلمليح: قراءة القصيدة التقليدية ، مطبعة أبي رقراق _الرباط، ٢٠٠٩ م، ص ٤١:٤٠).

١_ د. عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه _دراسة في سلطة النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، (عالم المعرفة) نوفمبر ٢٠٠٣م، ٢٩٨، ص ١٢١.

٢_ هولب: نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، مقدمة المترجم، ص ٢١.

ويعد (ياوس) في مقدمة الداعين إلى تجاوز النظرة الأحادية في تقويم الأدب، الذين طالبوا بفهم القراءة على أنها فعل تحاور وجدل بين النص ومتلقيه أو بين النص وعملية التلقي التي يحركها وتحركه؛ وبهذا الاعتبار فالنص يتضمن دائما نصا آخر ينم عنه، والقارئ وحده هو القادر إخراجه إلى النور، إذا فالقارئ الذي ينتظره النص يهدف إلى تحقيق غرضين مزدوجين ومتكاملين هما تحقيق النص وبناء معناه من ناحية، وتحقيق الذات وبناء كيانها من ناحية أخرى. وهذا معناه أن بناء المعنى ناتج عن تدخل القارئ الذي هو "بنية تجريدية" موجودة في النص أصلا، لكن هذا التدخل لا يتم إلا من خلال تشغيل بعض الميكانيزمات النصية مثل "السجل" و"الاستراتيجية" و"مواقع اللاتحديد" و"بناء الإطار المرجعي".[1]

---

١ _ السجل: هو كل ما يعتبر بمنزلة المواد الأولية للبناء ويعود من خارج النص إلى داخله مثل النصوص السابقة والأعراف والقيم الاجتماعية أو الثقافية التي يسميها إيزر بالسياق السوسيوثقافي العام الذي ينبثق منه النص، أما الاستراتيجية فهي ذلك النسيج الذي يهيئ "شروط التلقي" ويقيم العلاقة بين السياق المرجعي وبين القارئ لكي يتم لحم الأجزاء المنفصلة، فهي تمثل التوجيهات العملية التي تقدِّم للقارئ مجموع احتمالات يستطيع أن يتكئ عليها في فعل القراءة، أما مواقع اللاتحديد فهي تلك الفراغات والبياضات الموجودة عنوة في النص، والتي تسمح للقارئ بالتدخل كي يملأها ولذلك يسميها إيزر "الفراغ الباني" ويكمن دورها في تحفيز القارئ على التفكير والبحث عن التلاؤم وإيجاد الوضعية المشتركة.. ومن جهة أخرى فإن إيزر يميز بين بياضات وصلية يغفلها النص ليستخلفه القارئ في ترميمها، وبين بياضات فصلية هي حاصل العلاقة بين المكتشَف والمستكشِف في النص أو ما يسميه إيزر بالموضوعة thème والأفق horizon وهو المكان الفارغ من المعنى أو الخلفية المجردة من التلاؤم الموضوعاتي، وأخيرا الإطار المرجعي وتكمن الحاجة إليه كعنصر ضروري لتحيين المقامات التداولية والاشتراك مع الكاتب في بناء المعنى سواء بسواء، ومن المنتظر أن النص يتجه وجهة تخالف ما يتوقعه القارئ لكنه يستطيع استثمار ما يلوح به مما سينتج خلال مدة القراءة. انظر: محمد خرماش: فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات/ المغرب، الناشر سعيد بنكراد، عدد ١٠، ١٩٩٨، ص ٥٣: ص ٦١.

ثالثا: أفق التوقع:

أفـق التوقـع هـو "مفهـوم مركـزي فـي جماليـة التلقـي اقتبسـه يـاوس مـن الفلسـفة الظاهراتيـة ووظفـه فـي مجـال الدراسـة الأدبيـة لتحليـل التجربـة الأدبيـة للقـراء بشـكل موضـوعي، فوصـفه بأنـه نسـق مـن الإحـالات قابـل للتحديـد الموضـوعي يسـمح بقيـاس استعدادات القارئ لتلقي عمل جديد بعيدا عن النزعة النفسية".[١] وبما أن الوعي يتطور على الدوام، وأفق التوقع يتغير باستمرار، فإن مدلولات الوقائع الماضية تتجدد بدورها، لأن الماضـي لـيس فتـرة زمنيـة توجـد خلـف الحاضـر، كمـا كـان يعتقـد رواد المـنهج التـاريخي، ولكنـه يمتد فـي الحاضـر لأنـه يتشـكل مـن خـلال وعينـا بـه مـا دامت الواقعـة التاريخية تظل كامنة لا تكتسب وجودها الفعلي إلا من خلال وعي المؤرخ بها.[٢]

وقد عرَّف ياوس هذا المصطلح بدقة حين قال: "ونقصد بأفق التوقع نسق الإحالات القابل للتحديد الموضوعي الذي ينتج، وبالنسبة لأي عمل في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها، عن ثلاثة عوامل أساسية: تمرس الجمهور السابق بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه هذا العمل، ثم أشكال وموضوعات أعمال ماضية تفترض معرفتها في العمل، وأخيرا التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية، بين العالم الخيالي والعالم اليومي".[٣]

فإذا كان النص الأدبي بنية تقديرية –كما يقول ياوس–فإنه يحتاج إذا إلى دينامية لاحقة تنقله من حالة الإمكان الكمون إلى حالة الإنجاز والتحقق؛ بمعنى أنه لا يجوز القول بوجود المعنى النهائي في النص، وإنما معناه ناتج عن فعل القراءة التي ستتولد من خلال التفاعل بين النص وقارئه.. وقد أكد الدكتور عبد العزيز حمودة أن محور نظرية التلقي الذي يجمع عليه رواد النظرية هو أفق التوقع قائلا: "إن محور نظرية التلقي الذي لا يختلف عليه أي من أقطاب النظرية منذ ظهوره في الثلاثينات حتى

---

1 : jauss:"Pour une esthétique de la reception" Gallimard 1978. P.. 49

2: Jauss:"Pour une esthétique de la reception. P. 47.

٣_ ياوس: جمالية التلقي، ص ٤٤.

الثمانينات هو (أفق توقع القارئ) في تعامله مع النص. قد تختلف المسميات عبر الخمسين عاما، ولكنها تشير إلى شيء واحد: ماذا يتوقع القارئ أن يقرأ في النص؟ وهذا التوقع، وهو المقصود، تحدده ثقافة القارئ، وتعليمه، وقراءاته السابقة، أو تربيته الأدبية والفنية". [١]

وفي تعريف ياوس لأفق التوقع حدد العوامل الأساسية التي تصنعه، حاصرا إياها في ثلاثة عوامل: أولها: المعرفة القبلية وهي الخبرة السابقة التي يملكها الجمهور القارئ عن النوع الأدبي الذي ينتمي إليه النص المقروء.. ثانيها: أشكال وموضوعات أعمال ماضية يفترض النص معرفته بها، إذ إن النص الجديد يستدعي بالنسبة للقارئ مجموعة كاملة من التوقعات التي عودته عليها النصوص السابقة.. وثالثها: مدى المعرفة والتمييز بين اللغة الشعرية أو الجمالية واللغة العملية العادية، أو بين العالم التخييلي والعالم اليومي، وهذا العنصر الأخير يسعف القارئ على إدراك العمل الجديد تبعا لأفقه المحدود لتوقعه الأدبي، وكذلك تبعا لأفق أوسع تعرضه تجربته الحياتية.

ومما سبق يُفترَضُ أن يكون القارئ ذا حظ كبير من المعرفة المكتسبة سواء عن طريق الدراية أو عن طريق الممارسة من خلال الإحاطة بالسنن الفنية التي تميز الأجناس الأدبية بعضها عن بعض، ويكون القارئ مدركا لتوالي النصوص في عبر الزمان، بحيث يستطيع أن ينفذ ببصيرته إلى النصوص التي تأتي بقيم جديدة مغايرة للتقاليد الفنية القديمة، ثم يلتقط تلك البذور الفنية الجديدة التي تقوى على طرح تساؤلات جديدة على الانتظارات التقليدية المعهودة. [٢]

---

١ _ انظر: عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة _من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة _الكويت ٢٣٢، أبريل ١٩٩٨ م، ص ٣٢٣.

٢ _ ينظر: أحمد بوحسن: نظرية التلقي و النقد الأدبي العربي الحديث مقال ضمن " نظرية التلقي : إشكالات و تطبيقات "، ص ٢٩.

ومن خلال هذه القراءة ينتج ما يسمى بكسر أفق التوقع، بمعنى هل النص منسجما مع أفق توقع القارئ أم لا؟ فهناك نص يراعي أفق انتظار القارئ، ونص آخر هو الذي يخيِّب أفق انتظار القارئ، وهذا النص يستلزم أن يكون القارئ ذكيا فاعلا. فالعمل الأدبي يضع القارئ أمام تجربة إما أنْ يتطابق فيها أفق توقعه مع ذلك النص فيحدث التوافق والانسجام، أم لا يتطابق فلا يحث أي توافق أو انسجام، وعدم التوافق هذا هو الذي يسميه ياوس بالمسافة الجماليَّة وهو الذي ينتج عنها كسر أفق التوقع.

ويتلخص مفهوم القراءة عند الباحثة في أنها ليست مجرد تهجية للحروف، وإنما هي فعل خلَّاق، فهي إذا بمنزلة إبداع ثانٍ على إبداع المؤلف، ينتج من خلالها تعدد في الرؤى وزوايا النظر من خلال التعامل مع النص الأدبي وتحليله، فالقراءة الأدبية الناقدة تتعدَّد بتعدُّد المناهج النقدية، إذ تقوم كل قراءة بتحليل النص الأدبي في ضوء منهج معين، فنجد على سبيل المثال: قراءة نفسية، وقراءة تأويلية، وقراءة سوسيولوجية، وقراءة سيميائية، وقراءة في ضوء نظرية القراءة وجماليات التلقي..

(ج) المبحث الأول:
شعر الطغرائي في رؤى القدماء:

يتناول هذا المبحث كيفية قراءة شعر الطغرائي في بيئة المؤرخين والشراح والأدباء القدماء، هل نظروا إليه نظرة واحدة أم تعددت رؤاهم وتباينت؟ وكيف كانت لاميته تحديدا نقطة فارقة في تاريخه الأدبي، رغم أنه ترك لنا ديونا قوامه أكثر من ٢٧٢ نصا شعريا تطول أحيانا لتصل لأكثر من ثمانين بيتا، وتقصر أخرى لتجيء في بيتين أو ثلاثة، لكن (لاميته) هي التي ذاعت وانتشرت واشتهر بها؟

وبعد الاطلاع على ما تيسر لي من كتب عن الطغرائي وشعره، لاحظت ندرة الدراسات القديمة التي تحدثت عن شعر هذا الرجل، وفي المقابل اكتظت كتب التواريخ بذكره، منها من اكتفى بالتعريف به وبشعره، ومنهم من أورد نماذج من تلك الأشعار، أما الدراسات المستقلة التي اختصت بشعره فكانت بالنزر اليسير، إذ صُبَّ الاهتمام على لاميته الشهيرة "لامية العجم"، فجاء بعض شعر الطغرائي مغمورا في طيات كتبهم ومصنفاتهم. إن بعض المؤرخين الذين أرخوا للطغرائي وشعره اكتفوا بذكره ونسبه وجوانب من حياته ومولده ووفاته، ومنهم من أورد نماذج من أشعاره، فاكتظت كتب التواريخ بتلك الأشعار، والسؤال هنا: كيف قرأ القدماء شعر الطغرائي؟ وما حصاد رؤاهم؟

وأول من يلقانا في هذا الاتجاه هو ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) بقوله: "الحسين بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد الأستاذ مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصبهاني: صاحب الفضائل المشهورة والأشعار السائرة، صدر العراق وشهرة الآفاق المعروف بالطغرائي نسبة إلى من يكتب الطغراء وهي الطرة التي تكتب في أعلى

المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطّرة". [١]

وعده ياقوت آية في الكتابة والشعر خبيرا بصناعة الكيمياء، وأنه خدم السلطان ملكشاه بن ألب رسلان، وكان منشئ السلطان محمد مدة ملكه متولي ديوان الطغراء وصاحب ديوان الإنشاء تشرفت به الدولة السلجوقية وتشوفت له المملكة الأيوبية، وتنقل في المراتب والمناصب وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة، ولم يكن في الدولتين السلجوقية والأيوبية من يماثله في الإنشاء.. وله في العربية والعلوم قدم راسخ، وله في البلاغة المعجزة في النظم والنثر.. [٢] وله ديوان شعر وغير ذلك. كما ذكر الحموي قصة مقتله، وأورد نماذج من أشعاره ولما وصل للامية أوردها كاملة لإعجابه بها على حد قوله، [٣] وأشار إلى نكبة معين الملك وشعر الطغرائي له يسليه ويحضه على الصبر، ونماذج أخرى متنوعة من أشعاره. [٤]

وممن وقف عند التعريف به وذكر نماذج من شعره: ابن العديم (ت ٧٦٤ هـ) الذي تحدث عن الطغرائي في نحو ثماني وعشرين صفحة ذكر فيها اسمه ولقبه وكنيته، وكيف كان كاتبا شاعرا حسن النظم والشعر، عارفا باللغة والأدب وعلوم الأوائل، وأورد نماذج متنوعة من شعره، في أغراض متعددة كقصيدته في استعطاف الملك محمود، والرضا بالقضاء والقدر، وقصائد في الفخر والعزة والكرامة، بالإضافة إلى قصائده في الغزل والمديح.. كما ذكر قصيدته في الشمعة. [٥]

---

١ _ ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م، ج ٣، ص ١١٠٦: ص ١١٢٩.

٢ _ نفسه: ج ٣، ص ١١٠٧.

٣ _ نفسه: ص ١١١٠: ص ١١١٣.

٤ _ نفسه: ص ١١١٠: ١١١٨.

٥ _ بغية الطلب في تاريخ حلب: تحقيق حسين زكار، دار الفكر بيروت/ لبنان، ج ٦، ص ٢٦٨٣_ ٢٧٠١.

ولما جاء ذكر اللامية نجده أوردها كاملة، ثم علق عليها بقوله: "وهذه القصيدة من محاسن قصائده لا بل من محاسن شعر أهل عصره يسميها الناس لامية العجم تفضيلا لها على غيرها من أشعار العجم كما سموا قصيدة الشنفرى التي أولها:

أقيموا بني أُمي صُدُورَ مطيِّكُم فإنـــي إلى قوم سواكم لأميَلُ [1]

لامية العرب تفضيلا لها على غيرها من أشعار العرب، نظمها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يفتخر فيها ويشكو الاغتراب وأورد فيها من الحكم ما لا يخفى على المتأمل من ذوي الألباب". [2]

كما ذكره ابن خلكان (ت٦٨١ هـ) في كتابه (وفيات الأعيان): قائلا: "السيد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشئ المعروف بالطغرائي؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر، ويقول ابن خلكان: "ذكره أبو سعد ابن السمعاني في نسبة المنشئ من كتاب "الأنساب" ، وأثنى عليه، وأورد قطعة من شعره في صفة الشمعة، وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة. والطغرائي المذكور له ديوان شعر جيد، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملها ببغداد في سنة خمس

١_ الشنفرى، عمرو بن مالك الأزدي (ت ٧٠ ق هـ): ديوان الشنفري، أبو فيض مُورِّج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥ هـ)تحقيق علي ناصر غالب، مطبوعات مجلة العرب/ الرياض، ١٩٩٨ م، ص ٦٦: ٩٤.

وشعر الشنفرى الأزدي: تحقيق ودراسة أحمد محمد عبيد، المجمع الثقافي/ أبو ظبي، ٢٠٠٠ م، ص ١٠٨: ١٢١.

٢_ بغية الطلب: ج ٦، ص ٢٦٩٤.

وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه". [١] ثم أورد لاميته ونماذج متنوعة من أشعاره، معقبا عليها بترجمة له، مشيرا إلى مقتله ظلما بتهمة الإلحاد.

وأورد بهاء الدين الإربلي (ت ٦٩٢ هـ) بيتا واحدا من لامية العجم في معرض حديثه عن الغزل والنسيب، فيقول: "فأمَّا الشَّعر فأذكر منه ما يخطر، قال الطغرائي:

يحمونَ بالبِيضِ والسُّمرِ اللدانِ معًا سودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلْيِ والحُلَلِ [٢]

كما ذكره محمد بن عبد الرحمن العبيدي (ت ٧٠٢ هـ) في كتابه" التذكرة السعدية" في الباب الثالث الخاص بالنسيب، وأورد له سبعة عشر نصا من نصوص أشعاره في هذا الغرض، دون تقديم أو تعليق أو نقد، وبعضها غير موجودٍ في ديوانه، ومنها قوله:[٣]

وعهدي من ولائكمُ صحيحٌ وجسمي من فراقكمُ عليــلُ

ولي جَفْنٌ بِعَبْرتِهِ جَـــوادٌ ولـــي قلبٌ بِسَلــوته بخيــلُ

فللعَبراتِ في خدي مَسيــلٌ وللحَسرات فــي قلبي مَقِيلُ

وذيْلُ العُمر بعدكمُ قصيــرٌ وليـلُ الهجرِ بعدكُمُ طويـلُ !!

١_ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق إحسان عباس، دار صادر/ بيروت، ج ٢، ص ١٨٥: ١٩٠.

٢_ التذكرة الفخرية: تحقيق د. حاتم صالح الضامِن، دار البشائر/ دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م، ص ١٦١.

وينظر ديوان الطغرائي: تحقيق د. علي جواد الطاهر، ود. يحيى الجبوري، طبعة الدوحة الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م، ص ٣٠٤. وقصد بالبِيض هنا السيوف الجديدة اللامعة البتارة، وبالسُّمْر: الرِّماح.

٣_ التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق د. عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية/ بيروت، ٢٠٠١ م، النصوص ذوات الأرقام: (٣٧٣_ ٩٨٣)، ص ٢٦١: ٢٦٧.

وقصيدة أخرى عدتها عشرة أبيات ومطلعها: [١]

ذكرتكمُ عند الزُّلالَ على الظما ولم أنتفِـــعْ من شُربـــــه بِبلالِ

وحدثتُ نفسي بالأمانـي ضَلّةً وليس حديثُ النفس غيرُ ضلالِ!!

وقد أشاد شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ببعض شعره وفي مقدمة نصوصه (اللامية)، فقال: "وَلَهُ لاَمِيَّةُ الْعَجم بَدِيعَة" [٢]، "ومطلعها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وهي طويلة تنيف على ستين بيتا، وقالوا فيها: إنها من غرر القصائد، ودرر الفوائد، لما اشتملت عليه من لطيف الغزل، واحتوت عليه من الحكم والأمثال، ومما يستجاد منها قوله: [٣]

أعللُ النفس بالآمال أرقُبُهـــا ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ

وقوله: [٤]

يا واردًا سُؤْرَ عيشٍ كلُّه كَـــدَرْ أنفقتَ صفـــوكَ في أيامِـــكَ الأُوَلِ

فيمَ اقتحامُك لُجَّ البحرِ تركبُـــهُ وأنتَ يكفيك منـــهُ مصَّة الوَشَـــلِ

مُلْكُ القناعةِ لا يُخشى عليه ولا يُحتاجُ فيه إلى الأنصـار والخَـــوَلِ

ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لهـا فهل سَمِعْتَ بظـــلٍّ غيرِ منتقـــلِ

ويا خبيرًا على الاسرارِ مُطَّلِعـا اصمتْ ففي الصمتِ مَنجاةٌ من الزللِ

١_ التذكرة السعدية في الأشعار العربية: ص ٢٦٢.

٢_ سير أعلام النبلاء: تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م، ج ١٩ ص ٤٥٤.

٣_ ديوان الطغرائي: ص ٣٠٦.

٤_ نفسه: ص ٣٠٨: ٣٠٩.

قد رشَّحُوكَ لأمرٍ لو فطِنتَ لـه فاربأْ بنفسكَ أن ترعَى مـع الهَمَـلِ

وقد أقام عليها الصلاح الصفدي شرحا مطولا، وهو مطبوع في مجلدين ضخمين". [١]

ووصف قول الطغرائي:

يَا قَلْبُ مَالَكَ وَالهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا طَابَ السُّلُوُّ وَأَقْصَرَ العُشَّاقُ

أَوَ مَا بَدَا لَكَ فِي الإِفَاقَةِ وَالأُلَى نَازَعْتَهُم كَأس الغَرَامِ أَفَاقُوا

مَرِضَ النَّسِيْمُ وَصَحَّ وَالدَّاءُ الَّذِي تَشْكُوهُ لاَ يُرْجَى لَهُ إِفْرَاقُ

وهَذَا خُفُوْقُ البَرْق وَالقَلْبُ الَّذِي تُطْوَى عَلَيْهِ أَضَالِعِي خَفَّاقُ !؟

بأنه أَملح قَوْلَه. [٢].

وذكره الذهبي كذلك في كتابه دول الإسلام في حوادث سنة أربع عشرة وخمسمائة [٣] وذكره كذلك في كتابه "العبر في خبر من غبر" [٤].

بينما سجل ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)[٥] إحدى قصائد الطغرائي في معرض حديثه عن الأبيات المسدسة، وقد أورد التيفاشي (ت ٦٥١هـ)[٦] نماذج من أشعار الطغرائي في كتابه سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، ذكر قوله في أوصاف الليل،

١_ سير أعلام النبلاء: هامش ص ٤٥٤.

كما أورد قصيدة الطغرائي في رثاء الأبيوردي وعدتها ستة أبيات، ج ١٤، ص ٢٩١: ٢٩٢. (ينظر الديوان: ص ١٩٦)

٢_سير أعلام النبلاء: ص ٤٥٤_ ٤٥٥.

٣_ دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة، تقديم محمود الأرناؤوط، دار صادر/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م، الجزء الثاني والفهارس العامة، ص ٢٠.

٤_ العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.

٥_ المقتطف من أزاهر الطرف، شركة أمل/ القاهرة، عام النشر: ١٤٢٥ هـ.

٦_ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م، ص ٣٢، ص ٦٧، ص ١٢٤، ص ١٤٣.

وقوله في أوصاف الهلال، وأورد قول الطغرائي في صفات الشمس، وفي ذكر الكواكب والسماء وآحاد الكواكب المشهورة، دون تعليق ونقد.

كما أورد ابن منظور المصري (ت ٧١١هـ) [١] قصيدة للطغرائي في الهلال في ظهوره وامتلاء ربعه ونصفه وكماله والليلة المقمرة، وأورد شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) قصيدة للطغرائي في السيف وأوصافه [٢] وأخرى في النيلوفر [٣] كما يذكر أن الشعراء قد أكثروا من تشبيه الفرند بالنمل.

وذكره زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت٧٤٩هـ) [٤] في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة، ذاكرا لاميته وميله إلى الكيمياء. كما ورد ذكر الطغرائي عند ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) [٥] مكتفيا بالإشارة إلى لاميته ذاكرا أن الطغرائي في هذه القصيدة يشرح أموره وأحواله، وذكر أن ابن خلكان أوردها كاملة مع نماذج أخرى.

١_ نثار الأزهار في الليل والنهار، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٢٩٨ هـ، ص ٥٠، ص ١١٨_ ١١٩.

٢_ نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة_ الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ج ٦، ص ٢١٢.

٣_ السابق: ج ١١، ص ٢٢٥. والنيلوفر جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية فيه أنواع تزرع لورقها وزهرها، ورقه كبير مستدير يعوم على صفحة الماء، وأزهاره جميلة كثيرة الفُعاليات، منه أنواع تعيش في مستنقعات وبحيرات القارة القديمة، ومنه نوع جعل منه المصريون الأقدمون موضعا فنيا: فارسية، ومن أنواعه اللوطس أي عرائس النيل وتسمى البشنين: (المعجم الوسيط مادة نَيَلَ، المنجد مادة النيلوفر، المعجم الأساسي مادة نَيَلَ).

٤_ تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، ج ٢، ص ٣٠.

٥_ البداية والنهاية: ص ٢٥٥.

كما أورد بدر الدين الحلبي (ت ٧٧٩هـ) [١] قصيدة له الطغرائي في البحر والنهر، وذكره جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) [٢] موردا نماذج من شعره في الورد[٣] والنيلوفر [٤] والريحان [٥]، وذكره العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) [٦] في شذراته، وأورد نماذج من أشعاره.

وكأن كل شارح ومؤرخ يذكر من شعر الطغرائي ما يعجبه ويفتتن به، دون أن يرهق نفسه بنقد، أو يقف على مواطن الضعف والقوة فيما يورد من أشعار، وإن اتفق معظمهم على بيان مدى براعته في لامية العجم، فمنهم من أشار إليها ومنهم من ذكر نماذج منها، ومنهم من أوردها كاملة لإعجابه بها معنى وأسلوبا وصياغة.

وجدير بالذكر هنا أن من الشراح والنقاد القدماء مَن لم يكتف بمجرد عرض نماذج من شعر الطغرائي، ولكنه أخذ يحللها أحيانا ويوازن بينها وبين غيرها، ويذكر بعض التشابه بين أشعار الطغرائي وغيره من الشعراء، ولعل مثل هذا الأمر ينفي التهمة عن الطغرائي في لاميته الشهيرة بأنه أخذها من غيره بمجرد تشابه بعض أبياتها مع أبيات لشعراء آخرين، كعماد الدين الأصبهاني، وابن العديم، وغيرهما.

فنجد العماد الأصبهاني مثلا يذكر شاعرنا في (الخريدة) في غير موضع مشبها بعض أبياته مع أبيات شعراء آخرين، كما ذكره الأصبهاني في معرض حديثه عن

١_ نسيم الصبا، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٣٠٢هـ، الفصل السادس: في البحر والنهر، ص ٢٦.

٢_ المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ ، ص: ٤٠٧.

٣_ نفسه: ج ٢ ص ٤٠٧.

٤_ نفسه: ج ٢، ص ٤١٦.

٥_ نفسه: ج ٢، ص ٤٦٠.

٦_ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، المجلد السادس، ص ٦٨: ص ٧٠.

الأمير مجد العرب مصطفى الدولة أبي فراس علي بن محمد بن غالب العامري، عندما تحدث عن إحدى مدائحه التي قال فيها:

فُنفِيتُ من عدنــانَ إن جازيتُهم إلا بخُــزْرِ أسنّــةِ المُــرّان
متقدماً لجِبــا يُحلّقُ فوقَــه مُستبشــراً لجِبٌ من العِقبــان
خُذْ بالشهامة لا الكرامة أهلَهــا تردَعْ عِداك بهــا عن العُـدوانِ
فالحزمُ أن تضَعَ العقابَ إذا فشا ســرُّ المظالمِ موضــعَ الغُفرانِ!!

فاق الشعراء في إيراد هذا المعنى في هذا المعرِض، مع أنّه سبق إليه الأستاذ الشّهيد مؤيّد الدّين أبو إسماعيل رحمه الله حيث يقول:

وما الجهلُ في كلّ الأمور مذمَّمٌ وما الحلمُ في كلّ المواطنِ محبوبُ

مع أنّه سبق إليه المتنبي: [1]

ووضعُ النّدى في موضع السيف بالعُلى مُضرٌّ كوضع السيف في موضع النّدا

وهو أخذه من قول القائل:

وبعضُ الحلمِ عند الجهـ لِ لِلذِلَّــةِ إذعــانُ
وفي الشرِّ نجــاةٌ حيـ نَ لا يُنجيــك إنسانُ". [2]

كما ورد ذكره عند العماد الأصبهاني أيضا في معرض حديثه عن قصيدة مدح فيها المهذب بن أسعد الموصلي (المعروف بابن الدهان الموصلي) الملك الناصر صلاح الدين يوسف، منها: [3]

١_ أبو الطيب المتنبي: الديوان، تحقيق عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٣ هـ _ ١٩٤٤ م، ص ٣٦١.

٢_ خريدة القصر وجريدة العصر، القسم العراقي، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، الجزء الثاني، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م، ص ١٥٠: ص ١٥١.

٣_ ابن الدهان الموصلي (ت ٥٨١ هـ): الديوان، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف/ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ص ٥١: ص ٥٢.

←←←

تُردي الكتائبَ كُتْبُهُ فـــإذا غدتْ لم تَدرِ أَنْفذَ أَسطراً أمْ عَسكرا

لم يَحْسُنِ الإترابُ فوقَ سُطورها إلاّ لأنَّ الجيش يَعقُـــدُ عِثْيَـرا

وعلق عليه بقوله: قال:" هذا معنى ما سبقت إليه، وللأستاذ أبي إسماعيل الطغرائي من قصيدة وقد ألمَّ بالمعنى وأحسَن: [١]

عليها سُطُور الضَّربِ يَعْجُمها القَنا صحائف يغشاها من النَّقْعِ تَتريبُ

كما أورد ابن العديم[٢] قصيدة للطغرائي مدح فيها السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه وذكر أنه عارض بها قصيدة ابن هانئ المغربي (ت ٣٦٢ هـ)، وعدتها أربعة وستون بيتا، ومطلعها:

سرى وجناحُ الليلِ أقتمُ أفتَخُ مهاد ضجيعُ بالعبيرِ مُضَمَّخُ [٣]

فحيّيْتُ مُزْوَرَّ الخَيالِ كأنّـــه مُحَجَّبُ أعلى قُبّةِ المَلْكِ أبلخُ

فيعارضه الطغرائي بقصيدته على بحر الطويل، وعدتها خمسة وستون بيتا، ومطلعها:[٤]

هِيَ العِيسُ قُودًا في الأزمَّةِ تنفـــــخُ تمطَّى بها من عُجمةِ الرملِ برزخُ

→→→

وهو عبد الله بن أسعد بن علي أبو الفرج، مهذب الدين الحمصي، ابن الدهان، (٥٢٢ هـ_ ٥٨٨١ هـ/ ١١٢٨_ ١١٨٥ م)، شاعر، من الكتاب الفقهاء، ولد في الموصل، وأقام مدة بمصر، وانتقل إلى الشام، فولي التدريس بحمص، وتوفي بها، وله (ديوان شعر ط) وكتاب _شرح الدروس_ خ) كلاهما له، منه نسخة كتبت بالموصل سنة ٥٥٣ وهي الآن في مكتبة شهيد علي باشا باستنبول، الرقم ٢٣٤٩. (الزركلي: الأعلام ٤/ ٧٢).

١_ الطغرائي: الديوان، ص ٩٤.

٢_ بغية الطلب في تاريخ حلب: ج ٦، ص ٥٤٩.

٣_ انظر ابن هانئ الأندلسي: الديوان، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ١٩٩٥ م، ص ٨٣_ ٨٩.

٤_ الديوان: ص ١١٥: ص ١٢٢.

فَلَيْنَ الدُّجى عن غُرَّةِ الصبحِ فاغتدَتْ بجنبِ النَّقَا منها وُقُوفٌ ونُـــوَّخُ

فقد أشار ابن العديم إلى معارضة الطغرائي لابن هانئ، فالتأثير والتأثر أمر طبيعي، وأخذ اللاحق من السابق أمر شائع في كل حين.

وعندما ذكر محمد بن أيدمر المستعصمي (ت ٧١٠ هـ) [١] قول الطغرائي مثلا:

دَعِ المَقاديرَ تَجرِي فِي أَعِنَّتَها فَمَا تَدُومُ لِمَخلوقٍ عَلَى حَالِ

ذكر على عقبه قول الحطيئة (ت ٦٠ هـ): [٢]

دَعِ المَكارِمَ لَا تَرحَل لِبُغيَتِها وَاقعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطَّاعِمُ الكَاسي

وهذا يدل على أن التشابه في بعض الأبيات أو معانيها، لا يعني _في رأيه_ بأي حال من الأحوال أن أحدهم سارق، فمن الوارد جدا أن تتوارد الأفكار وتتكرر المعاني والألفاظ، خاصة أن شعر الطغرائي نال اهتمام الشعراء قديما فعارضوه، فكما أخذ هو عن سابقيه، أخذ عنه اللاحقون، وتأتي قصيدته "لامية العجم" في مقدمة هذه

١_ الدر الفريد وبيت القصيد: تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م، ج ٣، ص ٢٦٣: ٢٦٤.

وابن أيدمر هو فلك الدين أبو نصر محمد بن سيف الدين أيدمر بن عبد الله المستعصمي الأمير الكاتب الأديب، من أبناء الأمراء الأعيان العظماء (ت ٧١٠ هـ).. (معجم المؤلفين ٣/ ١٤٩ ومصادره وراجعه).

_ وتجدر الإشارة إلى أن ابن أيدمر قد أورد أشعارا للطغرائي في (٣٤) موضعا من كتابه، هي: ١/ ١٣٠، ٢/ ٨٠ و ٩٥ و ١٠٦ و ١١٨ و ١٢٦و ١٦٣ و ١٦٨ و ١٨٢ و ٢١٢ و ٣١٧ و ٣٥٣ و ج ٣/ ١٥٦ و ١٥٩ و ٢١٣ و ٢٧٤ و ٢٨٧ ، ج٤/ ١٧ و ١٣٠ و ١٦٠ و ١٦٩ و ٢٥٢، ج ٥/ ١٩ و ٤٤ و ٥١ و ١٥١ و ١٨٩ و ٢٣٨ و ٢٧٥ و ٣٦١ و ٤١٤ و ٤١٦ و ٤٣٤ وغيرها.

٢_ الديوان: برواية وشرح ابن السكيت (ت ٢٤٦ هـ) تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة (د.ت)، ص ٥٠.

المعارضـات، فقـد ورد عـن الأدبـاء والنقـاد كثيـرا أنـه قالهـا معارضـا لاميـة الشـنفرى الجاهلي، بالإضافة إلى المعارضات الأخرى.

كما أخذ عنه الشعراء، وذكر محمد أمين المحبي (ت ١١١١هـ): [١] قول أحدهم:

باللّهِ يا ريحُ هُزِّي غُصْنَ قامتِـــهِ وحاذِرِي العارِضَ النَّمَّامَ في السَّحَرِ

وشَوِّشِي رَوْضَ خَدَّيْه على عَجَلٍ ثم انْتَحِي نحو ذاك المَبْسَمِ العَطِـرِ

مشيرا إلى أنه عارض بها أبيات الطغرائي، التي أولها: [٢]

بالله يا ريحُ إن مُكِّنْتِ ثانيةً من صُدْغِه فأقِيمِي فيه واسْتَتِرِي

كمـا أورد يوسـف ابـن تغـري بـردي (ت ٨٧٤ هـ) قصـيدة لإسـماعيل بـن أبـي بكـر المِقَّرِي اليمـاني (ت ٨٣٧ هـ) [٣] وذكـر أنـه يعـارض فيهـا لاميـة الطغرائـي، فيقـول: "ولـه بالسند من قصيدة يعارض بها قصيدة الطغرائي اللامية:

زيادةُ القولِ تحكِي النّقصَ في العمـلِ ومنطقُ المـرءِ قد يَهديـــه للزّلَلِ

١_ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية_ القاهرة، ١٩٦٨ م، ج ٤، ص ٢٤١: ص ٢٤٢.

والمحبي هو محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبي (ت ١١١١ هـ) الحموي الأصل، الدمشقي الحنفي مؤرخ أديب شاعر لغوي ولد بدمشق وتوفي بها.. له من الآثار (الذيل على ريحانة الشهاب الخفاجي) سماه (نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة في التراجم) و(خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر)، وديوان شعر، وقصد السبيل في لغة العرب من الدخيل، والدر المرصوف في الصفة والموصوف... (معجم المؤلفين ١/ ١٤٦ ومصادره ومراجعه).

٢_ ديوان الطغرائي: ص ١٦٨.

٣_ هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله المقري اليماني (ت ٨٧٣ هـ) أديب وشاعر مشارك في كثير من العلوم، وُلد بأبيات حسين ونشأ بها، ثم انتقل إلى (زَبيد) وتوفي بها.. من مصنفاته: عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي، ومختصر الحاوي الصغير للقزويني وشرحه في فروع الفقه الشافعي، ومختصر الروضة للنووي وسماه (الروض)، والقصيدة التائية في التذكر، والإرشاد مختصر الحاوي في الفقه الشافعي، وديوان شعر... (معجم المؤلفين ١/ ٣٦٠ ومصادره).

إن اللّسانَ صغيرٌ جِرمـــهُ ولَـــــه جُـرْمٌ كبيرٌ كما قد قيلَ فِي المَثَلِ

فكم نَدِمْتُ على مـــا كنتُ قلتُ بـــه وما نَدِمتُ علـى ما لَمْ تكن تقـل

وأضيقُ الأمـــرِ أمرٌ لم تجد معـــــه فتىً يُعينُـــكَ أو يَهدِيـكَ للسُّبُـل

عقلُ الفتى ليس يُغنِي عَنْ مشـاورةٍ كحدَّةِ السَّيفِ لا تُغْنِي عن البَطَـلِ[1]

وهذه القصيدة ثلاثة وخمسون بيتا". [2]

وفي أثناء حديث الصفدي عن علي بن محمد بن فرحون[3] في كتابه (أعيان العصر)، قال: "كتب إلي يطلب مني شرح لامية العجم.. فكتبت أعتذر عن تجهيزه، لأنه في العارية .. وكان قد ركب أعجازا وصدورا على قصيدة الطغرائي لامية العجم، فجهزها إلي لأقف عليها، وأولها:

أصالةُ الرأي صانتْنِي عن الخَطَلِ وحِليـــةُ الفضلِ زانتني لـــــدَى العَطَـــلِ

مجدي أخيراً ومجدِي أوّلاً شَـــرَعٌ والشمسُ رأْدَ الضُحَى كالشمسِ في الطَفَلِ

فيمَ الإقامَةُ بالـزوراءِ لا سَكَنـــي بهـــــا ولا نَاقتي فِيهـــــا ولا جَملي

---

١ _ في الديوان: كعفة الخود لا تغني عن الرجل، والقصيدة في الديوان عدتها ثمانية وخمسون بيتا، الديوان: ص ٥٨: ص ٦٠.

٢ _ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ج ٢، ص ٣٨٩_٣٩٠.

٣ _ علي بن فرحون هو أبو الحسن علي بن محمد بن أبيي القاسم بن محمد بن فرحون التونسي المدني (ت ٧٤٦ هـ) فقيه ومحدِّث وواعظ وفَرَضي ونحوي وأديب وشاعر دخل دمشق والقاهرة وتوفي بها ... من تصانيفه: نزهة النظَر ونخبة الفِكَر في شرح لامية العجم، وديوان شعر، والزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والزخائر... (معجم المؤلفين ٢/ ٥٢١ ومصادره ومراجعه).

وهي كلها على هذا النمط، يأتي إلى كل بيت فيجعل لكل صدر عجزا، ولكل عجز صدرا، وقد أثبتُّها بكمالها في الجزء العشرين من (التذكرة) التي لي، فأعدتُها بعد ما كتبتُ عليها تقريظا وهو حسبما قصده مني والتمسه.. لقد أمتع ناظمها أمتع الله بفوائده ومحاسنه، وحلى جيد الزمن يدره الذي يثيره من معادنه، فجعل لآفاقها مشارق ومغارب، ولبيوتها في شعاب القلوب مراكز ومضارب، كيف أفادها أعجازا وصدورا، وكيف تنوع في الحسن حتى أفاد الحضور أردافا، وركب على الأرداف حضورا، وكيف اقتدر على البلاغة فأطلع في أفلاكها شموسا وبدورا، فلو عاينها الطغرائي، رحمه الله تعالى جعلها لمنشور ديوانه طغره..".[١]

وقد عارضه صفي الدين الحلي بقصيدة عدتها واحد وعشرون بيتا، "وهي من أحسن أنواع التضمين التي اخترعها وأصعبها، وذلك إلى أنه عمد إلى عشرين بيتا من قصيدة الطغرائي على الترتيب، فخرج صدورها بأعجاز عشرين من قصيدة المتنبي التي عاتب بها سيف الدولة".[٢]، منها قوله:

قل لِلمَلِيّ الَّذي قَد نـــامَ عَن سَهَري	**وَمَن بِجِسمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ**
تَنامُ عَنّي وَعَينُ النَجــمِ ساهِـــرَةٌ	**وَاَحَرُّ قَلبـــاهُ مِمَّن قَلبُهُ شَبِـــمُ**
فَالحُبُّ حَيثُ العِدى وَالأُسدُ رابِضَـــةٌ	**فَلَيتَ أَنّا بِقَـــدرِ الحُبِّ نَقتَسِمُ**
فَهَل تُعينُ عَلـــى غَيٍّ هَمَمتُ بِـــهِ	**في طَيِّهِ أَسَفٌ في طَيِّـــهِ نِعَمُ**
حُبُّ السَلامَـةِ يَثني عَزمَ صاحِبِـــهِ	**إِذا اِستَوَت عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُلَمُ**
فَإِن جَنَحتَ إِلَيهِ فَاتَّخِـــذ نَفَقـــا	**لَيَحدُثَنَّ لِمَن وَدَّعتُهُـــم نَـــدَمَ**

---

١ _ أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عشمة، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر/ بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ -١٩٩٨ م، ج ٣، ص ٥٠٨: ٥١٠.

٢ _ صفي الدين الحلي: الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر/ بيروت، ١٩٩٠ م، ص ٥٤: ص ٥٥.

رِضى الذَليلِ بِخَفضِ العَيشِ يَخفِضُهُ وَقَد نَظَــرتُ إِلَيهِ وَالسُيوفُ دَمُ

إن صنيع صفي الدين هذا يوحي لنا بتقديره للامية وصاحبها، ودليل على شيوع اللامية وانتشارها وتمثل الشعراء لها، وإن كان هذا الخلط بين القصيدتين أفقدها القدرة على التأثير في النفوس، لا سيما أن أثر اللامية والميمية قابع في نفس من يقرؤها، فمن الوهلة الأولى لا تستشعر صدق القائل ولا يأخذك في جو خاص به، فبمجرد القراءة الأولى يُستحضر في الذهن المتنبي وعتابه لسيف الدولة، والطغرائي وعتابه للزمن وتقلب الأحوال، مما يجعل قول محقق ديوان صفي الدين: "ناسب بين القصيدتين مناسبة عجيبة توافق غرضه" [١] بعيد تمام البعد عن التصديق.

كما ذكر حاجي خليفة في كشف ظنونه، قوله: اللامية في نظيرة لامية الطغرائي_ للشيخ غرس الدين خليل بن محمد الأقفهسي (ت٨٢٠ عشرين وثمانمائة) على وزنها أيضا، أولها:

دع التشاغل بالغِزلان والغزل يكفيك ما ضاع من أيامك الأول". [٢]

هكذا أخذ الطغرائي من سابقيه، وهكذا أخذوا منه أيضا، وهذا النمط من المعارضات والأخذ يضمن للفن سيرورته وبقاءه، إذ يختلف متلقوه، وباختلاف قراءاته تتعدد الرؤى وزوايا النظر.

وجدير بالذكر هنا أن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)[٣] ذكر الطغرائي في كتابه "أمل الآمل" نسبه، وفضله، ولاميته واصفا إياها بأنها "أشهر من أن تذكر، وله ديوان شعر

١_ صفي الدين الحلي: الديوان، ص ٥٤

٢_كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: دار إحياء التراث العربي/ بيروت_ لبنان، المجلد الثاني، ١٥٤٠.

٣_ وهو المحدّث الكبير والفقيه النحرير، صاحب التأليفات القيّمة والآثار الحميدة ، شيخ الاسلام وزعيم الشيعة في عصره ، محمّد بن الحسن بن علي بن محمّد ابن الحسين ، المعروف بالحرّ العاملي، ولد في قرية مشغرة إحدى قرى جبل عامل، ليلة الجمعة ثامن شهر رجب المرجب، ←←←

جيد"[١] ثم أورد نموذجين من أشعاره، أولهما قول الطغرائي في إحدى قصائده (وعدتها ثمانية أبيات) يتحدث فيها عن تصارف الزمان ووجوب علو الهمة:[٢]

إذا ما لم تكنْ ملكا مُطاعـــــا فكنْ عبـــدا لخالِقه مُطيعـــا

وإن لم تملكِ الدنيـا جميعـــــا كما تهواه [٣] فاتركْها جميعـا

هما نهجانِ [٤] من نسكٍ وفتكٍ يحلان الفتى الشرفَ الرفيعـــا

وآخرهما على بحر الكامل: [٥]

يا قلبُ مالك والهوى من بعدِ مـا طال [٦] السُّلوُّ وأقصرَ العشاقُ

أوَ ما بدا لك في الإفاقةِ والأُولـــى نازعتَهم كـــــأسَ الغرام أفاقوا

مرِض النسيمُ وصحَّ والداءُ الـــذي أشكوهُ لا يُرجـــى له إفـــــراقُ

وهدَا خفوقُ النجم [٧] والقلبُ الذي ضمت [٨] عليه جوانحي خفَّاقُ

→→→

عام ثلاث وثلاثين بعد الألف من الهجرة النبويّة، نشأ الحرّ وترعرع في أحضان العلم والمعرفة، فبيت آل الحرّ من البيوت الكبيرة العريقة الأصيلة، التي غذت الطائفة بثلة من أعاظم الفقهاء والمجتهدين.

١_الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي): أمل الآمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس/ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣١٥ هـ، القسم الثاني، ص ٩٥: ص ٩٦.

٢_الديوان: ص ٢٥٥.

٣_ في الديوان: تختار.

٤_ في الديوان: **هما سيان من مُلكٍ ونُسكٍ يُنيلان الفتى الشرف الرفيعا**

٥_ الديوان: ص ٢٦٠.

٦_ في الديوان: طاب.

٧_ في الديوان: البرق.

٨_ في الديوان: يطوي.

ويبدو من إيراد (العاملي) لمثل هذه النماذج أنه لا يسعى إلى تأكيد تشيعه، على عكس الصنعاني وجواد شبر وغيرهما _كما سيأتي ذكره فيما بعد_ في إيرادهم لنماذج من شعر الطغرائي يؤكدون من خلالها تشيعه وحبه لآل البيت.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن لامية العجم في رؤى القدماء فتبادرت إلى الذهن تساؤلات عدة حول التسمية، هل سميت لامية الطُّغرائي بلامية العجم لأنها لم تكتب باللغة العربية؟ أم سميت بهذا الاسم لأن صاحبها فارسي وليس بعربي؟ ولِمَ لم تنسب إليه شخصيا كما عرفت بعض القصائد بأسماء أصحابها؟ ومن الذي سماها بهذه التسمية أهو صاحبها؟ أم شراحها؟

لقد كتبت هذه القصيدة باللغة العربية وليست الفارسية، وتعد من أروع ما نظم الطُّغرائي، بل من روائع الشعر العربي على الإطلاق، فتسميتها لا ترجع إلى اللغة التي كتبت بها، وإنما سميت بهذا الاسم تشبيها لها بلامية العرب المنسوبة للشنفرى، لأنها تضاهيها في أدبها وحكمها وأمثالها، هذه التسمية التي جاءت على لسان أقدم شاريحها، وهو أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، الذي وضع عنونا لشرحه قائلا: "كتاب شرح لامية العرب" [١]، وأقر التسمية من جاء بعده فها هو ياقوت يقول: "ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولها الرواة وتناقلتها الألسن المعروفة بلامية العجم". [٢]

واستمر الشراح يذكرونها بهذا الاسم، وفي مقدمتهم الصفدي أشهر شراحها، فيسم القصيدة في غير موضع بلامية العجم، فيقول: " فإن القصيدة الموسومة بلامية العجم

١_ شرح لامية العجم: صورة عن المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية، تحت رقم ٥٢١ شعر تيمور.

انظر أيضا: محمود محمد العامودي: شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسن العكبري (٥٣٨_ ٦١٦ هـ) دراسة وتحقيق، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول، ٢٠٠ م، ص ١٥٩_ ص ٢٤٤.

٢_ معجم الأدباء: ١٠ / ٥٩.

رحم الله ناظم عقدها"[١] ويقول:" وللطغرائي المذكور ديوان شعر جيد ، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمائة يصف فيها حاله ويشكو زمانه". [٢] ويقول:" (وأما هذه القصيدة اللامية) فإنما سميت لامية العجم تشبيها لها بلامية العرب لأنها تضاهيها في حكمها وأمثالها". [٣]

ويقول العامودي: " يبقى احتمال واحد لتسميتها بلامية العجم، وهو كون صاحب هذه القصيدة من العجم فهو من أصبهان، وفي ظننا أن الذي سمى هذه القصيدة بلامية العجم هو الطغرائي نفسه صاحب القصيدة، لينالـه الشرف والشهرة بمقارنته بالشنفرى صاحب لامية العرب ذي الشهرة العالية". [٤]

ومهما يكن من أمر تسمية القصيدة بهذا الاسم فإنه من المُتَّفق عليه عموما أن لامية الطغرائي سُمّيت باسم لامية العجم تشبيها بقصيدة الشَّنفَرى، الذي كان واحدا من الشعراء العرب الصَّعاليك في العصر الجاهلي، هذا التشابه لم يكن من حيث الشَّكل فقط، وإنما كان من حيث الشكل والمحتوى، فمن حيث المحتوى لأنَّ الطُّغرائي ذكر فضائله واشتكى من العصر الذي عاش فيه ومن أفراد مجتمعه، وذكر الأمثال والحِكَم وغيرها كما هو الحال في قصيدة الشَّنْفَرى، أما من حيث الشكل فقصيدة الطُّغرائي كتبت لاميةً مثل قصيدة الشَّنفرى، وهذا يكشف عن تشابه القصيدتين من حيث الشَّكل.

وترى الباحثة أن الأمر أيسر من ذلك بكثير، وربما لا داعي للخلاف من الأساس، فربما تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى كون صاحبها أعجميا في الأصل، وربما هو نفسه الذي أطلق عليها هذه التسمية تيمنا بلامية الشنفرى الشهيرة.

وعلى رغم الاختلاف حول تسمية لامية الطغرائي بلامية العجم، لكنه من المسلم به أنَّ الطُّغرائيَّ الذي أقِيل من منصبه في بغداد نتيجة مؤامرات معارضيه عاد إلى

١_ الغيث المسجم في شرح لامية العجم: ص ٢.
٢_نفسه: ص ٦.
٣_ نفسه: ص ١٣.
٤_: محمود العامودي: شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسن العكبري، ص ٢٠١.

وطنه أصبهان، وفي هذه الأثناء كتب قصيدته، مستعرِضا الشكوى من الأحداث التي مر بها، وفي وقت قصير شغلت اللامية اهتمامات العالم الأدب، فكُتبت العديد من الدِّراسات حولها، بعضها يتعلق بفهم النص وتفسيره مثل الشروح والحواشي، فحظيت بشروح كثيرة، ولقيت اهتماما من الأدباء ولنحاة على حد سواء، بينما يرتبط البعض الآخر بإنشاء نص جديد مثل التشطير والتخميس، مما سيأتي ذكره لاحقا.

وقد حظيت لامية العجم باهتمام بالغ في تاريخ التراث العربي، لما تناولته من خلاصة تجارب الشاعر في الحياة، والحكم والمُثُل التي استخلصها، والقيم التي يؤمن بها ويتحّلى بها، وهو في قصيدته هذه يصف حاله ويشكو زمانه، فجاءت القصيدة مليئة بالصور الرائعة، والأخلاق السامية، وعنها يقول الصفدي: "أما فصاحة لفظها فيسبق السمع إلى حفظها، وأما انسجامها فيطوف منه بخمر الأنس جامها، وأما معانيها فنزهة معانيها، وأما قوافيها فتذهب القوى فيها، وأما شكواها فترضُّ الأكباد في الأجسام، وأما إغراؤها فيوجب الوثوب على الآساد في الآجام، وأما غزلها فما تذكر معه نغمات الأوتار، وأما مثلها فما هي إلا كالمصابيح في المساجد ذات الأنوار، كأن ناظمها غاص في البحر فأتى بالدرر منضودة أو ارتقى إلى السماء فجاء بالدراري من الأفق مصفودة". [١]

كما قال عنها أيضا إنها: "من غرر القصائد ودرر الْفَوَائِد لما اشْتَمَلت عَلَيْهِ من لطف الْغَزل واحتوت عَلَيْهِ من الحكم والأمثال وَقد وضعت عَلَيْهَا شرحا فِي أَربعة مجلدات". [٢] ويغالي الصفدي في تمجيد هذه القصيدة فيقول: "وإضافة الشيء إلى شيء مشهور أو عظيم يدل على شرف المضاف". [٣]، وقد اعترض الدماميني (ت ٨٢٧ هـ)

١_الغيث المسجم في شرح لامية العجم: ١/ ١٠.

٢_ الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث_ بيروت، ٢٠٠٠ م، ج ١٢، ٢٦٨: ٢٧٣

٣_الغيث المسجم في شرح لامية العجم: ١/ ٢٧.

على الصفدي (ت ٧٤٦ هـ) قائلا :" أما الإضافة الواقعة في قولهم: لامية العرب فمشعرة بالتعظيم والشرف للمضاف من جهة شرف المضاف إليه ، إذ العرب هم أهل اللسان المبين الراسخون أقداماً في البلاغة مهرة البيان، وفرسان الكلام ، وجهابذة الفصاحة ، فلا جرم أن إضافة المقول إليهم توجب تشريفاً له وتنويهاً لشأنه ، وأما العجم فليسوا بهذه المثابة، ولا قريب منها بل هم أبعد الناس عن الفصاحة، وأقلهم تحصيلاً لملكة اللسان القويم، لا ينكر ذلك إلا جاهل أو معاند، ومن يكون بهذه الصفة فكيف تدل الإضافة إليه على شرف ، ولو قيل بدلالتها على العكس لكان صواباً". [١]

وقد رد الأقبرسي اعتراض الدماميني بقوله: "ولا يتعقل متعقل من سياق كلام الصفدي في هذا المقام تفضيل العجم على العرب لسانا حتى يصح هذا التشنيع، وكفى بقوله تشبيها لها بلامية العرب، والمشبه به عن علماء البلاغة حقه أن يكون أبلغ من المشبه غالباً.. ".[٢]

ويبدو حسد الدماميني على الصفدي واضحا، لما ناله شرحه من إطراء الأدباء والنقاد لهذا الشرح، مستفيدين منه راجعين إليه، في شروحهم ومؤلفاتهم.

وقد اعتنى بهذه القصيدة كثير من الأدباء القدماء، فشرحوها وألفوا الكتب حولها، وأول شرح لها هو ما قام به أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ)، موجها الأنظار لأهميتها، ونظرًا لأن العكبري لم يورد مقدمة في بداية عمله، فلا يمكن تحديد الغرض من كتابة هذا الشرح، وهل هو من سمّاه أم لا؟ وقد وصفها بأنها: "في

١_ الدماميني: نزول الغيث، مخطوط بدار الكتب المصرية، ق ٣ أ. (مصورة)

٢_ انظر: الأقبرسي: تحكيم العقول بأفول البدر بالنزول، مخطوط بدار الكتب المصرية، ق٢ أ– ب.

غاية الفصاحة، وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة، ومعانيها بليغة غير ركيكة، وقوافيها غاية في التمكن". [١]

وبناء على ما أورده يمكن عرض منهج شرحه على النحو الآتي: يذكر القصيدة بيتا بيتا، ثم يوضِّح معنى الكلمات الموجودة في البيت، ثم يعرب المفردات، ثم يورد المعنى الكلّي للبيت، فمثلا في البيت الثالث:[٢]

فيمَ الإقامةُ بالزَّوْراءِ لاَ سَكَني بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلِـــي

اللغة: الإقامة مصدر أقام إقامة إذا لازم مكانا لا يفارقه.

الزوراء: بغداد، وسميت بذلك لانحوان قبلتها.

السكن: ما يسكن إليه الإنسان من زوج وغيره.

وبقية البيت من أمثال العرب. "لا ناقة لي فيها ولا جمل"، ذاكرا مضرب هذا المثل، وهو مثل يضرب لمن تبرأ من الظلم.

المعنى:

وقول الطغرائي فيم الإقامة: البيت بهذا النوع تسمية أرباب التدين عتاب المرء نفسه.

وقد حقق هذا الشرح د. محمود العامودي، ذاكرا منهج العكبري في شرحه للامية، على النحو التالي:

---

١ _ العكبري: شرح لامية العجم، مصورة عن النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية، تحت رقم ٥٢١ شعر تيمور.

٢ _ السابق.

١_ بدأ العكبري شرحه دون مقدمة.

٢_ التزم العكبري في شرحه ترتيب الأبيات كما وردت في الديوان ولم يقم بشرح البيت الثالث والعشرين، وهو:

تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كَبِدٍ حرَّى ونار القِرى منهنَّ في القُلَلِ [١]

٣_ يقوم شرحه على تفسير مفردات البيت أولاً ثم يعرب بعض الكلمات الصعبة ثم يذكر معنى البيت أخيرا.

٤_ اعتمد في شرحه على آيتين وحديث وثلاثة أبيات شعرية وثلاثة أمثال، وهذا يوحي ببساطة الشرح، وبعده عن الغموض والاستطراد الممل. [٢]

قدم العكبري في شرحه للامية عرضا سلسا، متوقفا على معاني مفردات القصيدة الصعبة، موضحا الأمثال العربية الواردة في القصيدة والمناسبة التي قيلت فيها، لذا جاء شرحه مبسطا بعيدا عن الاستطراد والتطويل.

بينما كان شرح الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) هو الأشهر، وسماه: (الغيث الذي انسجم، في شرح لامية العجم)، ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد، فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل، وأحسن المجاميع. وعلى ذلك الشرح: حاشية للشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت ٩٦٣ هـ)، و(مختصر الشرح) للشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت٧٣٩ هـ) ذكر فيه أن الصفدي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده

١_ في الديوان (منهم)، ص ٣٠٤.

٢_ انظر: محمود محمد العامودي: شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٥٣٨ _ ٦١٦ هـ)، مجلة الجامعة الإسلامية/ غزة، المجلد العاشر، العدد الأول، ٢٠٠٢ م، ص ٢٠٣: ص ٢٠٤.

إلا أظهرها، غير أنه انتقل فيه من علم إلى علم، ومن غريبة إلى غريبة، ومن نكتة إلى نكتة، فجاء شرحه غريبا في بابه، عزيزا عند طلابه. (١)

ويصرح هو بنفسه عن ذلك، ويفصح عن منهجه في الشرح قائلا:" وقد أحببت أن أضع عليها شرحا يزيد جيدها فرائدا وقصيدتها فوائدا، مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت، ولا أغادر فيها لغة ولا إعرابا ولا إيضاح معنى ولا إغرابا، ولا ما يضمه إليها سلك أو يدخل معها جرابا إلا نبهت عليه وأشرت بحسب الإمكان إليه هذا إلى ما يسترد إليه الكلام من نكتة وتعترض جملة ذكره بغتة، ويبديه الضمير على لسان القلم وكم للسان فلتة، ويثبته التعمد إذا علمت أن لجيد الاطلاع إليه لفتة، ليكون هذا الشرح أنموذج الأدب، وعنونا يدل على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب، فقد أودعت فيه فوائد جمة وقواعد مهمة، وشواهد هي لجامحات المعاني أزمة.. ". (٢)

التزم الصفدي بما أعلن عنه، فمن بداية شرحه للامية نجده قد أسهب إسهابا أغرق شرحه في كثرة الاستطرادات، فربما كان يهدف أن يكون شرحه موسوعيا كثقافة عصره، إلا أن هذه الموسوعية قد أخرجت شرحه كثيرا عن هدفه وهو شرح اللامية لا شرح قصائد وأشعار آخرين.

إن شرح "الغيث المسجم في شرح لامية العجم" للصفدي يأتي في مقدمة شروح اللامية، إذ كان هذا الشرح قبلة للكثير من الأدباء الذين قاموا بشرح اللامية، وقد حصر د. رشاد تسع دعائم أساسية يقوم عليها منهج الصفدي، هي:

١_ التناول اللغوي لألفاظ الأبيات بالشرح والتحليل والإيضاح والتفسير.

١_انظر: الدميري (ت ٨٠٨ هـ): المقصد الأتم في شرح لامية العجم، تحقيق د. حيدر فخري ميران و د. هاني الجراخ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ودار الرضوان للنشر والتوزيع/ الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م، ص ٣٩: ص ٤٠.

٢_ الغيث المسجم في شرح لامية العجم: ج ١، ص ٣.

٢_ إعراب جميع ألفاظ أبيات اللامية.

٣_ إيضاح معاني أبيات اللامية إيضاحا يزيل ما بها من غموض.

٤_ الحديث عن كل المعاني التي تقارب معاني أبيات اللامية وشرحها.

٥_ الاستطراد في الشرح لذكر ما يمكن ذكره من الأمور التي تتوارد على الذهن متى ما كان فيها نفعا، وبها فائدة.

٦_ تخيُّر ما يُورده أثناء الشرح من كلام الأدباء كتابا وشعراء، وتوخي أن تكون النصوص المختارة ذات قيمة أدبية عالية.

٧_ الاختصار والإيجاز كلما وجد إلى ذلك سبيل. فيقول: "نعم خشيت الإطالة، واجتنبت العثرة خوفا من عدم الإقالة.. فاقتصرت على الزبد واختصرت". [١]

٨_ تأييد مواقف المتأخرين من العلماء والانتصار لهم.

٩_ التوطئة بالحديث عن الطغرائي وحياته وشعره، ثم الحديث عن اللامية وقيمتها.".[٢]

ويفهم من كلامه أنه لم يترك شاردة ولا واردة إلا وسيتقصاها، وهو ما قام به الصفدي بالفعل، فكثرت استطراداته، وخرج كثيرا عن مقصده بسبب كثرة تشعيباته، وكأنه لم يرد شرح قصيدة، وإنما أراد أن يودع في شرحه هذا كل ما يستطيع إيداعه من العلوم والآداب.

وقبل أن يبدأ بشرح القصيدة مهد لذلك بالحديث عن الطغرائي، واسمه ولقبه ومولده وسبب وفاته، ثم ذكر نماذج من أشعاره، ثم تحدث عن قافية القصيدة وعروضها، وأخيرا شرح القصيدة بيتا بيتا، لا يترك البيت إلا بعد أن يستوفيه استيفاء تاما، ومن هنا كثرت استطراداته التي عاقت الفهم والتواصل في الكثير من الأحيان، ولما فرغ من هذا بدأ في

١_الغيث المسجم في شرح لامية العجم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ.، ج ١، ص ١٣.

٢_ نبيل محمد رشاد: الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية، مكتبة الآداب/ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ_ ٢٠٠٧ م، ص ١٧٤: ص ١٧٨.

شرح القصيدة بيتا بيتا، وإن شئت قل: كلمة كلمة، لا ينتقل من كلمة إلى أخرى إلا بعد إسهاب وتفصيل، فمثلا تجده يشرح البيت الأول من القصيدة في ثلاثة عشر صفحة، وهذا كان دربه في سائر أبياتها.

وكان ديدنه في الشرح أن يتناول كل كلمة _تقريبا_ من الناحية اللغوية، ثم يأتي بالمتشابهات، ويسوق القصص والشواهد مستطردا، وينتقل من فن إلى آخر، حتى يكاد ينسى القارئ عن ماذا يتحدث!!

ففي البيت الأول مثلا:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

اللغة (أصالة) مصدر أصل الشيء أصالة مثل ضخم ضخامة، ومجد أصيل ذو أصالة ورجل أصيل الرأي محكمه.. ثم ينتقل من شاهد إلى شاهد ومن قول إلى قول مسترسلا، ثم يشرح معنى صانتني فالخطل فالحلية فزانتني فالعطل، لا يترك كلمة إلا بعد أن يستوفيها لغويا، حتى يصل إلى نهاية شرح البيت الأول قائلا: وفي بيت الطغرائي من البديع نوعان وهما: الموازنة في صانتني وزانتني وفيهما الترصيع والنوع الثاني لزوم ما لا يلزم، فإنه التزم الطاء في الخطل والعطل.

ولعله من الجدير بالذِّكر هنا أن الصَّفدي الذي يدرس القصيدة من حيث الإعراب والمعنى، يتهم الطغرائي بالسرقة في كل بيت تقريبًا وإن لم يعلن ذلك صراحة، وفي هذا السياق يبدو أن الصَّفدي الذي يستخدم عادة كلمات" أخذ"، و"مأخوذ"، و"اختلس"، و"ينظر إلى" في تحديد السرقات في القصيدة، فيقول على سبيل المثال أنَّ الطغرائي يُشبِّه ابتعاده عن عائلته بسيف خالٍ من المجوهرات كما مثَّل ذلك مسلم بن الوليد.

قال الطغرائي:

ناءٍ عن الأهل صفر الكَفِّ منفرد كالسيفِ عُرِّيَ متناه عن الخلل

قال مسلم بن الوليد: [١]

وباينتُ حتى صِرتُ للبَيْنِ راكبا قَرَى العَزْم فَرْداً مثلَ ما انْفَرَدَ النَّصْلُ

ومهما يكن من أمر فشرح الصفدي للامية العجم يعد الأكثر تأثيرا في كل الشروح التي جاءت بعده، إذ شكّل هذا الشَّرح نقطةَ تحول مهمّة في أدب لامية العجم، فجميع الأعمال المكتوبة بعد ذلك تستند تقريبا إلى هذا الشرح، حتى يمكن القول: إنه لم تمرَّ دراسة على لامية العجم بعد شرح الصَّفدي دون الرُّجوع إليه والاعتماد عليه، فبين عشرات المؤلفين الذين شرحوا القصيدة يُطلق على الصَّفدي لقب" شارح لامية العجم" وهذا يُظهِر بشكل جلي تأثير شرح الصَّفدي على الشُّروح الأخرى التي جاءت بعده، مستفيدة منه بشكل أو بآخر، ولم يقف الأمر عند حد الاستفادة من هذا الشرح فقط، بل دونت العديد من الكتب على شرح لامية العجم للصفدي.

أما كمال الدين محمد بن موسى الدَّميري (ت ٨٠٨ هـ) فقد اختصر شرح الصَّفدي قائلا بأنَّ الصَّفدي استطرد كثيرا من غير ضرورة، وقد حظي عمل الدَّميري بتقدير العلماء من بعده وقام بتحقيقه الدكتور جميل عبد الله عويضة [٢]، ود. حيدر فخري و د.هاني الجراخ [٣]، ومحمد شادي عربش[٤] حيث بدأ المحقق بترجمة الدميري، ومتن لامية العجم، فالمقدمة، فترجمة الطغرائي، ففصل فيما يتعلق بترجمة الطغرائي،

---

١ _ مسلم بن الوليد: (ت ٢٠٨ هـ): شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق د. سامي الدهان، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الثالثة، ص ٩٢.

٢ _ شرح لامية العجم (وهو مختصر شرح الصفدي المسمى الغيث المسجم)، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

٣ _ المقصد الأتم في شرح لامية العجم، تحقيق د. حيدر فخري ميران و د. هاني الجراخ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ودار الرضوان للنشر والتوزيع/ الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م.

٤ _مختصر شرح لامية العجم (وهو تلخيص غيث الأدب الذي انسجم): تحقيق د. محمد شادي عربش، دار المنهاج/ جدة، الطبعة الثانية ٢٠١٨ م.

ففصل في ذكر شيء من شعر الطغرائي، وأخيرا شرح الدميري للقصيدة التي شرحها بيتا بيتا، فيقول مثلا في شرح البيت الخامس من لامية العجم: [١]

فلا صديقَ إليه مشتكَى حزَنِي ولا أنيسَ إليه منتَهى جذلي

يبدأ بشرح مفردات البيت لغويا، فيقول:

"اللغة :الصديق: هو الصادق في المودة، الرجل صديق، والمرأة صديقة، الجمع أصدقاء، قد يقال للواحد والجمع، والمذكر والمؤنث :صديق، قال الشاعر: [٢]

نصبْنَ الهَوى ثُمَّ اِرتَمَينَ قُلوبَنَا بأعينِ أعداءِ، وَهن صَديقُ

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله: [٣]

إذا امتَحَنَ الدُنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَت لَهُ عَن عَدوٍّ في ثِيابِ صَديقِ

مشتكى : مصدر اشتكى يشتكي، والحزن :خلاف السرور، والأنيس :فعيل من الأنس، ومنتهى : مصدر انتهى الشيء إذا بلغ الغاية، قال تعالى: "وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى" [٤] وقال ابن دريد: وكل شيء بلغ الحد انتهى، الجذل، بالذال المعجمة: ضد الحزن". [٥]

ثم ينتقل إلى الإعراب، ويقدم إعرابا مختصرا دون أن يتشعب في قضايا نحوية معقدة، فيقول في إعراب البيت:

١_ المقصد الأتم: ص ٧٨: ص ٨٥.

٢_جرير (ت ١١٠ هـ): الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت/ بيروت، ١٩٨٦ م، ص ٣١٥.
وفي الديوان: دَعَوْنَ الهَوى ثُمَّ اِرتَمَينَ قُلوبَنَا ... بأسهمِ أعداء ، وَهن صَديقُ

٣_ أبو نواس (ت ١٩٨ هـ): ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي، أبو ظبي للثقافة والتراث "المجمع الثقافي"/ الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م، ص ٧١٤.

٤_ سورة النجم: آية ٤٢.

٥_ المقصد الأتم: ص ٧٩.

"**الإعراب:**

فـلا صـديق: هـذه لا التـي لنفـي الجـنس، إليـه :جـار ومجـرور، مشـتكى :مصـدرية موضـع رفـع علـى الابتـداء، ولـم يظهـر الإعـراب/ لأنـه مقصـور، حزنـي :مضـاف والياء التي هي الضمير للمتكلم في موضع جر، ومشتكى مضاف إلى الحزن، والجملة من المبتدأ والخبر في موضع نصب على أنه صفة لاسم لا، كان التقدير :فلا صديق سامعا شكوى حزني إليه موجود، والنصف الثاني إعرابه إعراب الأول". [١]

ثم ينتقل إلى المعنى، ويبدأ بذكر مضمون معنى البيت، ثم يتطرق إلى الاستشهاد بما يناسب معنى البيت، سواء من الكتاب والسنة، أو من الشعر العربي، فيقول في شرح معنى هذا البيت:

"**المعنى:**

ما أجد صديقا يكون مشتكى حزني، ولا أرى أنيسا يكون منتهى فرحي، وهذه حالة تشق على مَن تلبس بها، ألا ترى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا هاجر من مكة، ما خرج منها إلاّ وأبو بكر رضي الله عنه معه؛ ليكون له أنيسا من الوحدة، ورفيقا في الغربة، يركن إليه في المشورة، ويركن به إذا خلا، وكذلك كان معه في الغار، وموسى عليه السلام لمَّا أمره الله تعالى بالرسالة إلى فرعون سأل ربه أن يكون معه أخوه، قال] :"**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي**" [٢]، وقال عليه السلام :إذا أراد الله بملك خيرا قيّض له وزيرا صالحا، إنْ نسي ذكّره، وإنْ نوى خيرا أعانه، وإنْ أراد شرّا كفّه عنه، وكان أنو شروان يقول :لا يستغني أجود السيوف عن الصقل، ولا أكرم الدواب عن السوط، ولا أعلم الملوك عن الوزير، ولو لم يكن في الصاحب والوزير إلاّ المشورة؛

١_ المقصد الأتم : ص ٧٩: ص ٨٠.

٢_ سورة طه: آية ٢٩.

لكان كافيا، قال تعالى لنبيه سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] :(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)[١]، قال الشاعر: [٢]

إذا عنَّ أمرٌ فَاستَشِر لكَ صاحِباً وإنْ كنتَ ذا رأي تشيرُ على الصحبِ

فإني رأيت العينَ تجهل نفسها وتدركُ ما قدْ حلَّ في موضع الشهب

وقال الأرجاني من البسيط: [٣]

شاوِرْ سِواكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ يوماً وإن كنتَ من أهلِ المشوراتِ

فالعَيْنُ تَلْقى كِفاحاً ما نأى ودنا ولا تَرى نَفْسَها إلا بمِرآة

واعلم / أنَّ طلبَ الصاحب أمر مقصود عند العقلاء؛ لأنه لا بدّ من خلٍّ تسكن إليه فتشكو إليه حزنك، وتنتصر به على مَن ظلمك، وتتخذه عونا على مآربك، وكان الكندي يقول :الصديق إنسان هو أنت، وفي المثل :ربَّ أخٍ لك لم تلده أمك، وقال بعض الحكماء :ينبغي للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه، فإن الإنسان لا يرى عيب نفسه، وأقل الأصدقاء حالة مَنْ تشكو إليه، ولم يكن عنده غير سماع الشكوى والإصغاء؛ لأن سماع الشكوى وبثّها، فيه تخفيف عن المكروب، والنفس تستريح إليه.

ومن هذه المادة قول ابن سناء الملك من الكامل: [٤]

لَوْ جُدْت لي بالنَّفْس منك لقلتُ من شَـــرَهِ المحبَّة إنَّــهُ لَبخيلُ

١_سورة آل عمران: آية ١٥٩.

٢_البيتان لعبد الله بن أحمد الخشاب اللغوي في: معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٦٣.

٣_ناصح الدين الأرجاني (ت ٥٤٤ هـ): الديوان، تقديم وضبط وشرح قدري مايو، دار الجيل/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، المجلد الأول، ص ١٥٩.

٤_الديوان: تحقيق محمد إبراهيم نصر و د. حسين محمد نصار، دار الكتاب العربي/ القاهرة، ١٩٦٩ م، ج٢، ص ٤٣٢. في الديوان: لَوْ جُدْت لي بالنَّفْس منك لقلتُ من شَرَهِ المحبَّة إنَّه لمُبخلُ

والكل أخذوا من ابن الرومي: لأنه قال فأطاب وإن طال: [١]

أعانقه والنفسُ بعـــدُ مشوقـــةٌ إليه وهل بعد العنـــاق تداني

فألثمُ فاهًا كي تمــوت حرارتـــي فيشتد مــا ألقى من الهيمـــان

ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ليَشْفِيَهُ ما ترشُفُ الشَّفَتـــانِ

كأنَّ فؤادي ليس يَشْفي غليلَـــه سوى أنْ يرى الروحَيْن يمتزجان

وقوله: (ولا بدَّ من شكوى)، اعلم أنّ العاقل من كتم أمره، ولم يَشْكُ لأحد عملا..

وقال أبو الطيب: [٢]

وَلا تَشكَّ إِلى خَلقٍ فَتُشمِتَهُ شَكوى الجَريحِ إِلى العِقْبانِ وَالرَّخَمِ

عاد الكلام إلى بيت الناظم، ولعمري في بلد بهذه المثابة، لا المثوبة، فحقه أن يفارقها، ولهذا قال أبو الطيب:[٣]

شَرُّ البِلادِ بلادٌ لا أنيسَ بها وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإِنسانُ ما يَصِمُ

وأين هذه البلدة التي وصفها الطغرائي من البلدة التي وصفها الحريري: [٤]

وجَدْتُ بها ما يمْلأ العَينَ قُرّةً ويُسْلي عنِ الأوطانِ كلّ غَريبٍ..". [٥]

كانت محاولة الدميري في تلخيص شرح الصفدي محاولة جيدة إلى حد كبير، فقد نجح في تلخيصه محافظا على مضمون الشرح، وربما هذا يرجع إلى إعجابه بهذا

١_الديوان: شرح الأستاذ أحمد حسن بَسَج، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢ م، ج ٣، ص ٤٠٦.

٢_الديوان: تحقيق عبد الوهاب عزام، ٣٢٥.

٣_ نفسه: الصفحة نفسها.

٤_شرح مقامات الحريري: ٥٥٨.

٥_ المقصد الأتم: ص ٨٠: ص ٨٥.

الشرح الذي أثنى عليه قائلا:" وقد شرحها أوحد زمانه، وفريد أوانه.. شرحا .. تقف فحول الرجال عنده ولا يعدونه.. فقد أودعه فوائد جمة، ومسائل مهمة". [١]

كما أن الدميري لم يكتف بمجرد تلخيص شرح الصفدي، بل نراه يسبق ذلك بعبارة: "قلت"، عندما يرى خطأ في كلامه، أو يورد كلمة "فائدة" عندما يرى ضرورة إثبات إضافة أو تعليق على ما فات الصفدي من أمور رأى من المناسب ذكرها. [٢]

كما كتب بدر الدين الدماميني (ت ٨٢٨ هـ) دراسة نقدية سماها" نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم" وانتقد فيها الصَّفديَّ بحدّة، مستخدما أخشن الألفاظ في انتقاده له، ويبدو هذا من البداية، إذ يقول: "وحيث كان ذلك التصنيف موسوما بغيث الأدب الذي انسجم في شرح لامية العجم" رأيت أن أسمي هذه المناقشات بنزول الغيث لأنها التي انزلته إلى الحضيض، وأوقعته من اعتراضاتها في الطويل العريض". [٣]

ويتابع قوله: "وأما هذه القصيدة اللامية فإنما سميت لامية العجم تشبيها لها للامية العرب، لأنها تضاهيها في حكمها وأمثالها.. أما الإضافة في قولهم لامية العرب فمشعرة بالتعظيم والشرف للمضاف من جهة شرف المضاف إليه، إذ العرب هم أهل اللسان المبين الراسخون أقداما في البلاغة ومَهَرة البيان وفرسان الكلام وجهابذة الفصاحة، فلا جرم أن إضافة المغول إليهم توجب تشريفا له وتنويها بشأنه، وأما العجم فليسوا بهذه المثابة ولا قريب منها بل هم أبعد الناس عن الفصاحة وأقلهم تحصيلا لملكة اللسان القويم، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو معاند ".[٤]

١_ المقصد الأتم: ص ١٧.

٢_ السابق: ص ١٩.

٣_ نزول الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم، صورة عن المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية، تحت رقم ٩٣٩ شعر تيمور، الورقة الرابعة.

٤_ السابق: الورقة نفسها.

ويبدو تعصب الدماميني للعرب واضحا منذ البداية، مما يفقد البحث من البداية مصداقيته، خاصة أن الطغرائي يتهم بعجميته وهو منها بريء، حقا إنه أصبهاني المولد ولكنه عربي النشأة والتكوين، وشعره جاء قويا جزلا ليبرهن على عروبته، وتمكنه من اللسان العربي ولغاته، ومن جهة أخرى فنسبه ينتهي إلى عالم اللغة الأشهر أبي الأسود الدؤلي، ومن فرط اعتداده بنفسه، وحدها وليس نسبه، جعل لنفسه مكانا وخلق لنفسه اسما وصفة وكيانا بين شعراء عصره، حتى عرف بكونه الطغرائي وليس الدؤلي _على شرف نفسه_ خلق لنفسه شرفا آخر صنعه بنفسه.

وقد تتبع د. محمود العامودي في بحث له اعتراضات الدماميني على شرح الصفدي لتشتمل على المسائل الآتية: أولها تسمية القصيدة، اعتراضات في النحو والصرف والإعراب، وأخرى في اللغة والمعنى، ومواضع في سرقاته الشعرية. (١)

وإذا انتقلنا إلى شرح لامية العجم لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) نجده استهل شرحه بترجمة مكثفة للطُّغرائي، وقد اكتفى السيوطي في تناوله للامية بشرح المعاني المُعجَميَّة للكلمات، فيقول مثلا في شرح البيت الرابع:

ناءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ مُنفردٌ كالسيفِّ عُرِّيَ متناهُ عَنِ الخللِ

"قوله: ناء أي بعيد، صِفْرُ الكف من صَفِرَ كفَرِحَ إذا خلا، عُرِّيَ بالتشديد أي جُرِّدَ، متناه: أي جانباه، الخلل: جمع خِلة بكسر الخاء وهي شيء منقوش يُغشى بها غمدُ السيف". (٢)

بينما قام بالإعراب مرة واحدة، في قول الطغرائي:

فاصبرْ لها غيرَ محتالٍ ولا ضَجِرٍ في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ

١_ محمود العامودي: منهج الدماميني في اعتراضه على الصفدي في شرحه لقصيدة لامية العجم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، عدد ٣٠، ٢٠١٧ م، ص ١٩٢: ص ٢١٢.

٢_ جلال الدين السيوطي: شرح لامية العجم للطغرائي، دققها أحمد علي حسن، مكتبة الآداب/ القاهرة، (د.ت)، ص ٥.

فقال السيوطي في شرحه لهذا البيت: "قوله فاصبر الخ: من صبرَ كضربَ، محتال: متحيل، ضَجِر: من ضَجر كَعَلِمَ بوزن كَتِفَ. في حادث الدهر: خبر مقدم، نوائبه. ما يُغني: مبتدأ مؤخر. يكفي عن الحيل: بوزن عِنَب جمع حيلة". (١)

من ثم يمكن القول: إن شرح السيوطي للامية الطغرائي جاء مقتصرا على شرح مفرداتها، دون التطرق إلى شرح المعنى الكلي لمجموعة الأبيات، أو الوقوف على الجوانب البلاغية فيه، كما أنه لم يثر قضايا نحوية، ولم يتطرق إلى الإعراب إلا مرة واحدة، وكأنه أراد من شرحه توضيح معاني مفردات القصيدة فحسب.

كما قدم محمد سعيد جبران تحقيقا لشرح أبي جمعة الماغوسي (ت ١٠١٦ هـ) للامية العجم، ووصفه بقوله: " وهو عبارة عن شرح لغوي تعليمي قيّم على القصيدة البديعة المسماة "لامية العجم" لمؤيد الدين أبي إسماعيل الطغرائي.. وقد تشوَّف أبو جمعة سعيد الماغوسي المراكشي إلى أن يبدع في أثناء إقامته بالشرق شرحا عميقا مختصرا على هذه اللامية الزاخرة بالتجارب، مليئة بالحكم والتصورات، والحافلة بفنون اللغة والبلاغة والتركيب". (٢)

١_ جلال الدين السيوطي: شرح لامية العجم للطغرائي، ص ١٤.

٢_ أبو جمعة سعيد الماغوسي المراكشي (ت ١٠١٦ هـ_ ١٦٠٧ م): إيضاح المبهم من لامية العجم، دراسة وتحقيق محمد سعيد جبران، دار المدى الإسلامي/ بيروت، مايو ٢٠٠٩ م، ص ٢٢.

وذكر الماغوسي "أن التحقيق" هو علم وفن، علم لأنه يخضع للضبط والأمانة العلمية والتزام الدقة، وهو فن لما يبديه المحقق من طرق الإخراج ووسائل التقديم التي تلقي أضواء الوضوح والتشويق لقراءة النص المحقق.

ويفصح الماغوسي عن الدافع الذي دفعه لشرح لامية العجم "أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل، فمن مقصر مخل، ومن مطول ممل". [١]

وكان منهج الماغوسي في شرحه هذا، أن يبدأ إذا بشرح مفردات البيت، ثم يتوقف عند معنى البيت في مجمله (مراده)، يلحقه بذكر ما في البيت من وجوه البلاغة دون توسع، ثم يخلص في النهاية إلى الإعراب، وهو في هذا الجانب يعرب البيت تفصيلا، ليس هذا فحسب بل يقف عند اختلاف النحاة في مسألة ما وقفة تفصيلية، تؤكد على تبحره في علم النحو، ومثال ذلك شرحه لبيت الطغرائي: [٢]

ناءٍ عن الأهلِ صِفرُ الكفِّ منفردُ كالسيفِ عُرِّى متناه من الخَللِ

اللغة:

(ناءٍ) اسم فاعل من نأى ينأى نأيا فهو ناءٍ، وإنما حذفت لامه استثقالا للضمة عليها، كما تحذف استثقالا للكسرة في نحو مررتُ بقاضٍ، ولذا تُرد مع الفتحة لخفتها، كرأيتُ قاضيا ونائيا، (الصفر) الخالي، وهو اسم فاعل، أو صفة مشبهة به، من صَفِرَ الزقُّ و الإناء إذا خلا مما كان فيه..

مراده:

ان يبيِّن وجوه تبرِّيه من الزوراء، والمعنى لأي شيء إقامتي بها، وأنا غريب فيها لست من أهلها، خالي الكف من المال، ليس لي من آوي إليه من أهل أو عيال، ولهذا شبه حالته هذه بحالة السيف المُعرى من حلله..

---

١ _ إيضاح المبهم من لامية العجم: دراسة وتحقيق د. محمد مسعود جبران، دار المدى الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م، ص ٨٨.

٢ _ نفسه: ص ١١١: ص ١١٦.

الإعراب:

(ناءٍ) خبر لمبتدأ محذوف تقديره "أنا"، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة استثقالا، (عن الأهل) متعلق بناءٍ، واللام للعهد أو نائبة عن الضمير، وعن للمجاوزة، (صفر الكف) خبر ثانٍ، (منفرد) خبر ثالث، (كالسيف) يحتمل أن تكون الكاف اسما في محل رفع على أنه خبر رابع عن (أنا) المقدر، وهو الراجح والمعول عليه.. ومن هذا الإعراب يقوم بشرح (تعدد الخبر) وأقسامه، وما إن انتهى من الإعراب ينتقل إلى البيت التالي، وهذا ديدنه حتى نهاية القصيدة.

قدم محمد جبران تحقيقه لشرح الماغوسي للامية بترجمة للقصيدة وبتعريف موجز بها، ثم بترجمة لحياة الشارح الماغوسي ورحلاته من مراكش إلى الشرق وإقامته في مصر، معرفا بأهم آثاره الموجودة والمفقودة، مشيدا بثقافته وثناء العلماء عليه، ذاكرا التشابه بين شرحي الصفدي والماغوسي في أنهما أمليا تحت ظروف نفسية متشابهة، اتسمت بالضيق والكدر.

مبينا منهج الماغوسي في شرحه، في قوله: "ومن الملاحظ على منهجية تأليف هذا الكتاب أنه بناه على هيكلية تراتبية واضحة وملتزمة، اتسمت في الغالب_ مع الجنوح إلى اختيار طابع الاختصار بحيوية المنهج وعمقه المتمثل في غزارة المادة العلمية التي تعكس تكوينه العلمي الممتاز في علوم اللغة وعلوم المقاصد، وروح المناقدة والترجيح، ودقة النظر، وجمالية البيان الكاشفة عن معاني القصيدة ومبانيها.. ثم أخذ بعد ذلك يورد أبيات اللامية بيتا بيتا إلى نهايتها، متبعا في منهج شرحه الآتي شرح الألفاظ اللغوية (اللغة)، المعنى الجملي للبيت (مراده)، ثم يلحق بمراد الشاعر ما يوجد في البيت من وجوه البلاغة في غير توسع، ثم يخلص بعد ذلك إلى (الإعراب)

فيعرب البيت في دقة، يتعرض خلالها لاختلاف النحاة، وهنا تتجلى براعته في النقد والدفع".[١]

من خلال ما سبق يمكن القول: إن الماغوسي المسمى "إيضاح المبهم من لامية العجم" هو محاولة جادة للإجابة عن بعض الاعتراضات التي وجَّهها الدَّماميني إلى الصَّفدي، وخلافا لغيره من الشُّراح الآخرين فإن المؤلف باستناده إلى مفتاح العلوم للسكاكي والكشاف للزمخشري ضمّن شرحَه بيانات بلاغية مختلفة، إذ لم يكتف بشرح معاني الكلمات أو الوقوف على معنى الأبيات فقط، بل ظهر الجانب البلاغي عنده بشكل واضح.

من ثم يمكن القول: إن الماغوسي في شرحه للامية العجم وقف لكشف مبهمها من النواحي اللغوية: اللفظية والبلاغية والنحوية على الطريقة التعليمية المعمَّقة التي سار عليها أعلام العلماء في القديم في شروح الأصول الشعرية البديعة، فكان شرح الماغوسي كشروح سابقيه، قام على توضيح معاني الألفاظ المعجمية، متطرقا إلى المسائل النحوية والصرفية، متوقفا على جوانب البلاغة والبديع، وإن كان شرح الماغوسي استغنى عن الاستطراد الذي قد يدفع القارئ إلى الملل.

إن شراح اللامية قديما لم يخرجوا في شروحهم عن الوقوف عند أبيات القصيدة، مركزين اهتمامهم على شرح معاني مفردات القصيدة متفرعين منه إلى قضايا لغوية ونحوية، إذ قصد معظمهم من الوقوف عند كل بيت من القصيدة لإظهار موطن الشاهد النحوي أو الوقوف عند بعض القضايا اللغوية والصرفية، دون الوقوف على القصيدة كاملة في محاولة منهم لإظهار الجانب الجمالي والإبداعي فيها، حتى يمكن القول إن الجوانب الفنية في القصيدة لم نجد لها وجودا يذكر. ويجدر بنا هنا الإشارة إلى أن العرب القدامى قرأوا نصوصهم الشعرية من خلال مستويات ثلاثة: المستوى اللغوي،

١ _ إيضاح المبهم من لامية العجم: ص ٧١.

والمستوى النحوي، والمستوى الأسلوبي أو البياني، حيث كان الشارح يبدأ بشرح الألفاظ العربية الصعبة، وفك ما استغلق على الفهم.

ثم بعد ذلك يعمد إلى التخريج النحوي، مقدرا ومعربا، محاولا الكشف عن بنية اللغة للنص المطروح للشرح والتحليل، وأخيرا ينصرف إلى نثر البيت وتلخيصه تلخيصا بديعا يتقارب مع مستوى الأسلوبي للنص المقروء. إلا ان هذه القراءة المبكرة في التراث العربي، لا تعدو أن تكون رؤية جزئية، إذ لم تتناول النصوص المحللة تناولا شموليا وإنما كانت تتناول ظواهر بعينها.

من ثم يمكن القول إن القدماء تلقوا شعر الطغرائي واحتفوا به، فاكتظت كتبهم بذكر الطغرائي وشعره، وتعددت فيه قراءاتهم، وتباينت رؤاهم، فقد أولوا الطغرائي وشعره العناية والاهتمام، فجمع ديوانه منذ البداية على يد أحفاده_ ويروى أنه هو نفسه قد جمع ديوانه_ واهتموا به وشرحوه، خاصة اللامية التي كانت محور الكثير من الشروح الأدبية، والدراسات النقدية، فعارضوها وخمسوها، وكتبوا قصائد على منوالها، فذاعت وانتشرت، وانتقلت من لسان إلى لسان، ومن جيل إلى جيل، حتى أنها كانت مصب اهتمام الكثير من الدارسين في العصر الحديث، وهو ما ستكشف عنه الصفحات القليلة القادمة.

(د) المبحث الآخر:
الطغرائي في رؤى المعاصرين

يعالج هذا المبحث رؤى المعاصرين ونظرتهم لشعر الطغرائي ولاميته، وكيف قدموا قراءات متنوعة لهذا الشعر، تلك الرؤى التي اختلفت باختلاف نظرتهم لهذا الشعر من ناحية، وتحكمت في رؤاهم ميولهم وثقافاتهم المتنوعة، بل وعقائدهم، هؤلاء المعاصرون الذين يمكن تصنيفهم صنفين رئيسين: مستشرقين، وعرب، فإذا كان العرب بحكم عروبتهم قدموا دراسات متعددة عن الطغرائي وشعره وحقا كان لهذه الدراسات النصيب الأوفر، فإن شعر الطغرائي لم يحرم من اهتمام المستشرقين به، عندما وضعوا لاميته في دائرة اهتمامهم، حقا لم يكن شعره بصفة عامة، ولكنهم تناولوا نموذجه الأشهر وهو قصيدته المعروفة بلامية العجم.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما موقف المستشرقين من شعر الطغرائي؟ كيف قرأوه؟ وكيف اعتنوا به أنموذجا من نماذج اعتنائهم بهذا التراث العربي العظيم؟

وبعد الرجوع إلى عدد لا بأس به من كتب هؤلاء المستشرقين ودراساتهم لشعر العرب وتراثهم، تبين للباحثة أنهم لم يتناولوا شعر الطغرائي ولو بدراسة واحدة، ولكن في الوقت ذاته نالت قصيدته الموسومة بلامية العجب نصيبا لا بأس به من الترجمات إلى لغات متعددة. وعندما نتحدث عن المستشرقين الذين اهتموا بالأدب والتراث العربي، يأتي كارل بروكلمان [1] في مقدمتهم، إذ يعد كتابه "تاريخ الأدب العربي" المرجع الأساسي في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها.

١_ ولد كارل بروكلمان في ١٧ سبتمبر ١٧٦٨ م، في مدينة روستوك (Rostock)، وفي المدرسة الثانوية في روستوك بدأت تظهر ميوله إلى الدراسات الشرقية، وتخرج باللغات السامية على اعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، ونبغ فيها وطارت له شهرة في فقه اللغة العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة، وفي التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، حتى عد إماما من أئمتها، وعين أستاذا لها في جامعة: برسلاو، وكونيبرج، وهاله، وبرلين وغيرها. واشتهر بروكلمان بجم نشاطه وغزارة إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية والعمق والشمول والجدة، مما جعله مرجعا للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي. وقد أشار بدوي إلى أنه بمناسبة بلوغ بروكلمن ←←←

وقد استهل بروكلمان الحديث عن الطغرائي وشعره ولاميته، مقسما إنتاجه قسمين: القسم الأول ديوان معظمه كان في مدح السلطان السعيد محمد بن ملكشاه وابنه أبي الفتح مسعود الذي كان الطغرائي وزيرا له، والقسم الآخر لامية العجم، وقد أسهب في الحديث عنها، وذكر أنها معارضة للامية الشنفرى ويشكو فيها زمانه وحاله. مشيرا إلى أنها طبعت مع تعليقات في بيروت بدون تاريخ، وفي "مجموعة مهمات المتون" بالقاهرة ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥ هـ.

كما طبعت مع شروح بالتركية بعناية لبيب أفندي باستانبول ١٨٤٧ م. ثم ذكر سبعة عشر شرحا لها مرتبة على الزمن، ثم أورد أعمالا حول اللامية، وذكر ثلة من المستشرقين الذين ترجموا اللامية، وهم:جوليوس J.Golius [١]، وريسكه J. Reieski[٢]، وبيير فاتييه P.Vattier، وشابيلو Chappelow [١]، وفراين

←←←

سن السبعين في **Otto Spies** في ١٩٣٨ ثبتا بمؤلفات بروكلمن. وكان هذا الثبت الأساس في ثبت أوفى بمؤلفات بروكلمن، يشمل على ٥٥٥ رقما، نشر في مجلة **Wissenschftliche Zeitschrift der Martin_Luther_ univerrsitat Halle-Wittenberg V 11, 4. Helft**. **انظر: عقيقي:** المستشرقون، ج ٢، ص ٤٢٤_ ص ٤٣٠، بدوي : موسوعة المستشرقين، ص ٩٦ : ص ١٠٥.

١_ ياكوبس جوليوس (١٥٩٦_ ١٦٦٧) مستشرق هولندي، سافر إلى المغرب مبعوثا سنة ١٦٢٢، ومكث قرابة العامين، جمع خلالهما مخطوطات عربية، ثم عاد إلى ليدن وعين أستاذا للعربية، غير أنه بعد عام واحد قدم على إجازة لرحلة جديدة إلى الشرق، وبالفعل زار حلب وأنطاكية ومدنا شامية أخرى، كما رافق القوات التركية في زحفهم على الفرس حتى ما بعد الرافدين، وسافر إلى القسطنطينية، وعاد منها إلى ليدن، وقد عاد من هذه الرحلات بما يقرب من مائتي وخمسين مخطوطا كان النصيب الأكبر منها لجامعة ليدن. وأغناها بما لم تكن عرفته مكتبات أوروبا آنذاك حتى أسماؤها وكلها مخطوطات بالغة الأهمية، أحسن اختيارها جوليوس. وقد هيأت هذه الكنوز الغنية من الكتب التي جعلت من ليدن كعبة كل المتخصصين في الدراسات العربية في الغرب (فوك ص ١٧٢). انظر: يوهان فوك، ص ١٧١: ص ١٧٦، بدوي: ص ٢٠٤.

٢_ يوهان ياكوب رايسكه: (١٧٦١_ ١٧٧٤)، يصفه يوهان فوك بالعبقري، وأنه أول متخصص مشهور في العربية أنجبته ألمانيا، مستشرق ألماني من الرعيل الأول وعالم باليونانيات. ولد في ٢٥ ديسمبر ١٧١٦م، وتوفي في ١٤ أغسطس ١٧٧٤ م. واستولى عليه ولع يصعب تفسيره بتعلم العربية، وتغلب بسرعة على نحو عجيب ودون أية مساعدة خارجية، غير معتمدا إلا على ←←←

Fraehn[٢]، وكارليل [٣] *J.D. Carlyle*، رو [4] *A. Raux*، وهيرتس: [5] *Hirtius*، وهيزل *W.F. Hezel*، و [6] *L.G. Pareau*.

قام بروكلمان بالتوثيق لشراح اللامية ومترجميها، دون التطرق إلى كل شرح من الشروح التي ذكرها بالدرس والتحليل، أو مقارنته بالشروح الأخرى، وما إذا كان قد

←←←

موهبته اللغوية الخاصة، على كل صعوبات النحو، ولم يكن لدى ريكسه أدنى ميل لعلم اللاهوت، وظل طوال حياته لا يعبأ بفقه اللغة المقدس، وصرح بوضوح إذا أراد المرء أن ينهض بدراسة العربية، فيجب ألا يدرسها دراسة علم اللاهوت. انظر بدوي: ص ٢٩٨، فوك: ص ٢٠٧ وما بعدها.

١_ ليونارد شابيلو (١٦٨٣_ ١٧٦٨) Chappelow, L.، تخرج من كمبريدج وحصل على درجة الزمالة من كلية سانت جون فيها (١٧١٦_ ١٧) وخلف أوكلي في كرسي اللغة العربية (١٧٢٠). انظر: عقيقي ج ٢، ص ٤٦.

٢_ فران (١٧٨٢_ ١٨٥١) Frahn, Ch. M. ولد في روستوك من أعمال ألمانيا، وتخرج من جامعتها، واتجه اتجاها جديدا في عصره، وهو الحضارة والثقافة والتاريخ بدرس الآثار والعاديات والنقود، فكان من أطول المستشرقين جلدا على البحث وإخلاصا فيه ووفرة نتائج منه. وقد قام برحلات طويلة كانت آخرها إلى روسيا _حيث ودع نور الحياة_ بدعوة من القيصر لتدريس العربية في جامعة قازان (١٨٠٧_ ١٧) ودراسة أنواع النقود الإسلامية في المجموعات المحلية. وفي سنة ١٨١٨ انتقل إلى بطر سبرج حيث انتخب عضوا في مجمع العلوم الروسي، وكلف الإشراف على المتحف الآسيوي الذي أسس في تلك السنة، فأنشئ القسم العربي برعايته ونال منه عناية خاصة. (انظر لويس شيخو: ص ٧٢)

٣_ جوزيف داكر كارليل (J.d.Carlyle) (١٧٥٩_ ١٨٠٤) مستشرق إنجليزي، ساح في بلاد الشرق ثم تولى تدريس اللغة العربية في كلية كمبردج، له كتاب في آداب العرب وشعرهم في الإنجليزية ونقل إلى اللاتينية قسما من مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة لجمال الدين بن تغري بردي، ونشر الكتاب المقدس بالنص العربي، انظر عقيقي: المستشرقون، ج ٢ ص ٤٩. والغريب أن العقيقي لم يذك ترجمته للامية في كتابه عندما أرخ له.

٤_ يعرف Roux, A. مثلا بقوله: رو_ Roux, A.، من أساتذة معهد الدراسات المغربية العليا ، من آثاره: لأمية العجم للطغرائي (١٩٠٣) ولامية ابن الوردي. وبانت سعاد (١٩٠٤) ومعلقة زهير (١٩٠٥)... انظر عقيقي ج ١، ص ٣٠٤.

٥_.وقد أعاد طبعه J.Hierth في institutions Arabica بينا . انظر موجز دائرة المعارف، ج ٢٥، ص ٦٨٧٠.

٦_ L.G. pareau أوترخت ١٨٢٤، انظر موجز دائرة المعارف الإسلامية،ج ٢٥، ص ٦٨٧٠.

أضاف اللاحق للسابق أم لا، اكتفى بروكلمان فقط بذكرها دون أن يتناولها تناولا أدبيا وفنيا.

والغريب في الأمر أن بروكلمان فقط هو الذي ذكر هيرتس، وعليه لم نستطع أن نجد أي معلومات عنه، وعندما ذكره وائل السيد لم يذكر أي شيء عنه، كما انفرد بروكلمان بذكر L.G.Pareau _ 1824 و W.F.Hezal _ 1788. [١]

وإذا انتقلنا إلى فؤاد سزكين [٢] وجدناه يذكر العالم يعقوب جوليوس (ت ١٦٦٧ م) من أهل مدينة ليدن، الذي قام بتحقيق بعض مخطوطات تضم شعرا عربيا، كانت بين المخطوطات العربية المائتين والخمسين التي اقتناها أثناء فترات إقامته الطويلة في المغرب العربي وآسيا الصغرى. نشر جوليوس "لامية العجم" للطغرائي، وفى سنة ١٦٦١ م ظهر في انجلترا تحقيق لامية العجم مع تعليقات لغوية عليها، من عمل إدوارد بوكوك.[٣] كما ذكر سزكين أن يوهان يعقوب رايسكه يعد بحق أول متخصص ألماني في الدراسات العربية، وفي مجال الشعر.. وفي سنة ١٧٥٦ ظهرت ترجمته الألمانية للامية الطغرائي.

١_ وقد أشار علي جواد الطاهر أيضا إلى هاتين الترجمتين في كتابه المشار إليه آنفا. كما ذكر الطاهر أن W. A. Glauston أعاد طبعها في كتاب (الشعر العربي) المطبوع عام ١٨٨١.

٢_فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠ هـ)، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى –د سعيد عبد الرحيم، أعاد صنع الفهارس: د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام النشر: ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

٣_ إدوارد بوكوك Edward Pococke : هو مستشرق إنكليزي وعالم كتاب مقدس، ولد عام ١٠١٣ – ١١٠٢ هـ بأوكسفورد، انجلترا وتوفي عام ١٦٠٤ – ١٦٩١ م بأوكسفورد، انجلترا. أبحر في 1630 إلى حلب وقضى فيها خمس سنوات، حيث درس اللغة العربية وجمع عدة مخطوطات قيمة، من مؤلفاته كتاب عن تاريخ العرب بالإنجليزية Specimen : historiae arabum بالاعتماد على ابن العبري ومراجع أخرى. (ويكبيديا)

أما فوك فنجده يترجم في كتابه "الدراسات العربية" [١]، لثلاثة من شراح لامية العجم _ وإن شئت قل اثنين_؛ لأن فوك لم يذكر تناول ثالثهم للامية _أقصد ريكسه_، وقدم ترجم (فوك) لهم ترجمات وافية، ذاكرا التفاصيل الدقيقة التي عاشوها وأثرت على حياتهم العلمية، وهما:

١_ ياكوبس جوليوس: وترجم له في حوالي ست صفحات، وذكر من ضمن آثاره كتاب المطالعة العربي: شذرات الذهب من كلام العرب الذي ظهر سنة ١٦٢٩ م في مطبعة الزفير (Elzevir) من أجل محاضراته، دون أن يطلق على نفسه ناشرا، فهو يضم أولا مختارات مشكلة تشكيلا تاما من ١٦٥ قولا مأثورا منسوبا إلى عليّ، ولامية العجم للطغرائي الذائعة الصيت على أنها أول محاولة لفن الشعر العربي تطبع في الغرب.

٢_ إدوارد بوكوكويس: [٢] "وتبين نشرته (لم تطبع إلا سنة ١٦٦١ م) للامية العجم للطغرائي كيف بحث النصوص العربية مع تلاميذه، ويحلل هناك (مستعينا بالشرح المفصل للصفدي) كل كلمة نحويا، ويحدد جذرها، ويشير إلى معناها، وحين يكون الأمر ضروريا

١_يوهان فوك: الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه د. سعيد حسن بحيري و د. محسن الدمرداش، مكتبة زهراء الشرق/ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م. ياكوبوس جوليوس ص ١٧١_ ١٧٦، إدواردوس بوكوكيوس ص ١٧٨: ص ١٨٤، ويوهان يعقوب رايسكه ص ٢٠٧: ص ٢٢٦.

٢_ ادوارد بوكوكيوس: ظهر سنة ١٦٥٧ م كل مستشرقي إنجلترا المشهورين، إلا أن إدوارد بوكوك قد فاقهم جميعا في الأهمية، بوكوكيوس (١٦٠٤_ ١٦٩١ م) اول من تولى كرسي الأستاذية في اللغة العربية في أكسفورد ١٦٣٦ م، فهو مستشرق إنجليزي وعالم بالكتاب المقدس، ولد في أكسفورد وعمَّد في ٨ نوفمبر ١٦٠٤، وكان أبوه قسيسا في بركشير Berkshire. وتعلم في كلية جسد يسوع في جامعة أكسفورد، ودرس علم اللاهوت فيها، وبعد تخرجه، صار قسيسا للطائفة الإنجيلية في مدينة حلب (سوريا) من سنة ١٦٣٠ إلى ١٦٣٥. فمكنته إقامته في حلب من إتقان اللغة العربية، فلما عاد إلى إنجلترا في ١٦٣٥ عين أول أستاذ للغة العربية في جامعة أكسفورد ١٦٣٦، وكان أول كرسي أنشئ في أكسفورد للغة العربية. وفي ١٦٣٧ سافر مرة أخرى إلى المشرق لاقتناء المخطوطات. وفي عام ١٦٤٨ انتقل إلى كرسي اللغة العبرية. انظر فوك: ص ١٧٨، بدوي: ص ١٣٩.

تضاف اشتقاقات أخرى وتذكر في الخاتمة الكلمات القريبة لها اشتقاقيا في العبرية والكلدانية والسريانية، ويستخلص من الفهرس الذي أرفقه بوكوك بالطبعة أنه لم يكن يشترط في مستمعيه القدرة على تحليل مستقل، ولم يُورِد فيه كل الكلمات المعالجة في الشرح وفق الجذر، وإنما في الصورة الشكلية تماما التي ظهرت بها عَرَضا في القصيدة، وتُصحب علاوة على ذلك في الشرح كل كلمة عربية في العادة بكتابة صوتية لاتينية، ومن ثم لم يكن من المستغرب أيضا أن التفسير لم يتعد الإيضاح البسيط للكلمة".[١]

ونلاحظ هنا أن ذكر اللامية عند (بوكوك) لم يمر عليها (فوك) مرور الكرام، وإنما ذكره تفصيلا، وكيف استفاد من شرح الصفدي، ربما يشير هذا إلى أن اللامية كانت من أهم الدراسات التي قام بها بوكوك في التراث العربي، ليس هذا فحسب بل ذكر منهجيته في شرح نص اللامية، ويكأنه شرح كتبه الصفدي بتفصيلاته، وهو الأمر الذي لم نجده يفعله مع جوليوس، واكتفي فقط بذكر اللامية ضمن ما حققه من تراث عربي.

٣_ ريكسه: أما يوهان ياكوب رايسكه فقد ترجم له فوك في حوالي عشرون صفحة، إلا أنه لم يرد عنده تحقيقه أو ترجمته للامية العجم، رغم الإشارات الكثيرة إلى دراسته هذه، فيقول فوك "تعمق رايسكه في مخطوطات المؤرخين والجغرافيين، غير أن شولتنس وجهه إلى الشعر العربي، ومن ثم نسخ سنة ١٧٣٩م قصائد جرير ولامية العرب للشنفرى وديوان طهمان، وفي العام التالي حماسة البحتري غير أنه اشتغل أساسا بالقصائد العربية القديمة الأكثر شهرة؛ المعلقات التي استطاع أن يدرسها في مخطوطات (فارنر) ٢٩٢ و ٦٢٨ مع شروح التبريزي والنحاس، واختار في النهاية أكثرها طولا وهي معلقة طرفة ليحققها".[٢]

ومن خلال ما سبق تبين للباحثة اختلاف قراءة المستشرقين للامية الطغرائي، فإذا كان بروكلمان قدم بين أيدي القراء أهم من تناول اللامية وترجمها، فإن فؤاد سزكين

١_ يوهان فوك: ص ١٨٣: ١٨٤.

٢_ يوهان فوك: ص ٢١٠.

ذكر نشر جوليوس "لامية العجم" للطغرائي، وتحقيق إدوارد بوكوك لها، كما ذكر أيضا يوهان يعقوب رايسكه وترجمته الألمانية للامية الطغرائي، أما (فوك) فقد بالتوقف عند محاولتي ياكوبس جوليوس و إدوارد بوكوكويس في ترجمة اللامية ودرسها، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اختلاف الرؤى وتعدد أنماط القراءات من قارئ إلى آخر، ويبقى عمل بروكلمان هو المرجع الأساس في التعرف على ترجمات اللامية للغات الأخرى، فهو مرجع لا يستغني عنه كل باحث عن أثر اللامية في البيئات الثقافية الأجنبية.

وإذا انتقلنا إلى الكتاب العرب الذين تناولوا الاستشراق والمستشرقين بالدرس والترجمة، نجد دكتور عبد الرحمن بدوي [١] في طليعتهم، هذا الرجل الذي ترجم لعدد كبير منهم، وترجم من بينهم لثلاثة منهم تناولوا لامية الطغرائي، وهم: بوكوك، وريكسه، وجوليوس.

تناول بدوي دور (بوكوك) *Pocock* في ميدان الدراسات العربية، وكان على طليعتها لامية الطغرائي، فيقول: لقد "حقق بوكوك "لامية العجم" للطغرائي وترجمها إلى اللاتينية مع تعليقات شافية، استعان فيها بشرح الصفدي المسمى: "الغيث المنسجم في شرح لامية العجم" فحلل الكلمات لغويا واشتقاقيا، وبين معانيها، ومن حيث الاشتقاق بين صلاتها بالكلمات العبرانية والكلدانية والسريانية المنظارة لها".[٢]

ثم تحدث عن جوليوس *JUCOLUS GOLIUS* (1596_1667) وترجم له ثم ذكر آثاره في الدراسات العربية وكان من بينها قصيدة "لامية العجم" للطغرائي. [٣]، كما ذكر بدوي ريسكه *Johann Jakob Reiski* (1761_1774) وترجمته "لامية العجم" للطغرائي إلى الألمانية، في ١٧٥٦، وغيرها من النصوص الصغيرة.[٤]

١_ عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين/ بيروت_ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م.

٢_ نفسه: ص ١٣٩.

٣_ نفسه: ص ٢٠٤ وما بعدها.

٤_ عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين: ص ٣٠٢.

ويبدو أن بدوي كان مرجعه الأساس هو (فوك)، فعندما تحدث عن لامية العجم وترجماتها اكتفي بذكر ثلاثة فقط من مترجميها، هم الثلاثة الوارد ذكرهم عند (فوك) وإن كان بدوي قد ذكر ترجمة رايسكه للامية العجم إلى الألمانية، وهو الأمر الذي لم يرد ذكره عند (فوك) الذي أشار إلى ترجمة رايسكه للامية العرب للشنفرى دون التطرق للامية.

أما العقيقي فقد قدم من خلال كتابه "المستشرقون" ترجمة مختصرة لهؤلاء المستشرقين الذين اهتموا بالتراث العربي الإسلامي، وكان من بينهم ستة من مترجمي اللامية، وهم: رو_ A. Roux [١]، وبوكوك، إدوارد الأب [٢] ورايسكه، ج.ج. Reiske,J.J. [٣] وليونارد شابيلو .L.Chappelow [٤]، وفران Ch. M. Frahn [٥] ، وجوليوس، ج. J. Gollus [٦]

١_ نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦ م، ج١، ص ٣٠٤. "آثاره: لأمية العجم للطغرائي (١٩٠٣) ولامية ابن الوردي. وبانت سعاد (١٩٠٤) ومعلقة زهير (١٩٠٥) ".

٢_ نفسه، ج ٢، ص ٤٢. " آثاره... ترجم تاريخ أبي الفرج بن العبري باللاتينية وأهداه إلى ملك إنجلترا (١٦٦٣) ولامية العجم للطغرائي، متنا وترجمة لاتينية ، بتفاسير وافية (أكسفورد ١٦٦١)

٣_ نفسه: ج ٢، ص ٣٥٥. " آثاره: المقامة السادسة والعشرون من الحريري متنا وترجمة ألمانية (١٧٣٧).. ولامية الطغرائي متنا وترجمة ألمانية باع منها مائة نسخة (ليبزيج ١٧٥٦) ".

٤_ نفسه ج ٢، ص ٤٦. آثاره: "صنف كتابا في قواعد العربية (١٧٣٠) وترجم بالإنجليزية لامية العجم للطغرائي (كمبريدج ١٧٥٨، وكان أ.بوكوك قد ترجمها إلى اللاتينية ١٦٦١) ".

٥_ نفسه: ج ٣، ص ٦٨. "آثاره: وفيرة تربو على المائتين بين تحقيق وترجمة وتصنيف ودراسة، منها عدة تواليف عن النقود أشهرها كتابه: صفة بعض الدراهم، وقد حلل فيه النقود العربية والدوافع السياسية إلى سكها.. ونشر لامية العجم للطغرائي ولامية العرب للشنفرى (قازان ١٨١٤) ".

٦_ نفسه: ج ٢، ص ٣٠٤. " آثاره: نشر أمثال علي بن أبي طالب، وأمثال الطغرائي (ليدن ١٦٢٩)".

وذكر يوسف سركيس الطغرائي في معجمه، فبعد أن عرف به ذكر لاميته الشهيرة موردا مطلعها ذكر طبعات ديوانه ولاميته، حيث ذكر طبعة الجوائب/ الأستانة للديوان، وأنها لشهرتها اعتنى بها الأدباء، وأنها طبعت باعتناء الأستاذ بوكوك في أكسفورد، وباعتناء الأستاذ رايسكي في فرانكفورت، وفي مجموع من مهمات المتون مصر ١٨٦٨ و١٨٧٨، وطبعت مع لامية العجم للشنفرى باعتناء الأستاذ فراين في قازان، وطبعت مع شرحها ليونس المالكي في كتابه الكنز المدفون والفلك المشحون. [١]

وقد انفرد يوسف سيركس بالإشارة إلى شرح يونس المالكي للامية الطغرائي في كتابه الكنز المدفون والفلك المشحون، وقد أشار سزكين أن كتاب الكنز المدفون هو كتاب ليونس المالكي بينما هو منشور باسم العلامة السيوطي، وأيا كان المؤلف فإنه فبعد أن أورد لامية الطغرائي علق عليها بقوله:" شرح ألفاظ هذه القصيدة مع الاختصار تكميلا للفائدة". [٢] وبعد أن شرح أبيات القصيدة ذكر ترجمة قصيرة للطغرائي، ثم ذكر نموذجان من شعره.

وهناك دراسات متنوعة في الاستشراق، ورد فيها ذكر اللامية في أماكن متفرقات، فها هو سعدون محمود، يشير في معرض حديثه عن ترجمة الشعر، إلى ترجمة فران (١٧٨٢_ ١٨٥١) للامية الطغرائي ولامية العرب للشنفرى (قازان ١٨١٤). [٣]

كما ورد ذكر اسمين لمستشرقيْن ألمانيين قاما بترجمة لامية الطغرائي عند محمد عوني، أحدهم ترجمها إلى اللاتينية والآخر إلى الألمانية، وهما: إدوارد بوكوك Pococke, Edward الذي ترجمها إلى اللاتينية مستعينا بشرح الغيث المنسجم

١_ يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، دار صادر/ بيروت، مطبعة سيركس_ مصر، ١٣٤٦ هـ_ ١٩٣٨ م/ ج ٢، ص ١٢٤١.

٢_ جلال الدين السيوطي/ يونس المالكي: الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٢١٤_ ص ٢١٨.

٣_ د. سعدون محمود الساموك: الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة، دار المناهج للنشر والتوزيع/ عمان، ١٤٢٣ هـ_ ٢٠٠٣ م، ص ١٤٤.

للصفدي، ويوهان ياقوب رايسكيReiski, Johann Jakob الذي ترجم إلى الألمانية لامية العجم، للطغرائي، ١٧٦٥. [١]

وقد ذكر النملة ثلاثة من المستشرقين الذين تناولوا لامية الطغرائي وترجموها، وهم: بوكوك، إدوارد الأب (١٦٠٤_ ١٦٩١ م) _ لامية العجم للطغرائي. أكسفورد، ١٦٦١ م، رايسكه، ج.ج. (١٧١٦_ ١٧٧٤ م) _ لامية العجم للطغرائي، لايبزج، ١٧٥٤ م، وفراين، ش.م. (١٧٨٢_ ١٨٥١ م)_ لامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي، قازان، ١٨١٤ م. [٢]

ويأتي وائل علي السيد ليجمع الإشارات المتفرقات لمترجمي (اللامية) وشاريحيها من المستشرقين، وقد استقى السيد مادة مصادره من مرجعين رئيسين، هما: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الجزء الخامس، والعقيقي في كتابه: "المستشرقون"، وقد أورد السيد تسعة مستشرقين ممن تناولوا اللامية بالترجمة والشرح، وهم: جوليوس، وفاتيسير، وبوكوك، ورايسكه، وشابيلو، وهيرتس، وفران، وكارليل، و رو، وهيرتس.

من خلال ما سبق يمكن القول باختلاف تناول الكتاب العرب لهؤلاء المستشرقين الذين تناولوا لامية العجم، ويبدو أن دائرة الاهتمام لهذه الدراسات قد اختلفت من كاتب لآخر، فإذا كان عبد الرحمن بدوي أشار إلى ثلاثة من مترجمي اللامية، وهم: بوكوك، وريكسه، وجوليوس، فإن العقيقي أضاف إليهم ثلاثة آخرين، وهم: رو، وليونارد شابيلو، وفران، ليصبح مجموعهم عنده ستة مترجمين، بينما جاء مجهود وائل السيد واضحا في إضافة فاتيسير وهيرتس وكارليل، ليصبح مجموع مترجمي اللامية تسعة مترجمين.

١_ محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، أعده للنشر وقدم له د. إيمان السعيد جلال، المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ٣٧٣: ص ٣٧٥.

٢_انظر: النملة: بوكوك ص ٦٠، رايسكه ص ٧١، وفراين ص ٨٢.

وجدير بالذكر هنا أن موجز دائرة المعارف انفردت بذكر ترجمة أخرى للامية: "وقد أعاد درسلوت H.Van der Sloot طبعه في فرانكر سنة ١٧٦٩ ". [١] وهي ترجمة أشار إليها علي جواد الطاهر في كتابه الطغرائي (حياته_شعره_لاميته).

كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية التعريف بالطغرائي ونسبه وألقابه ومولده ونشأته ووفاته، مع التنويه على عدم توافر المعلومات عن حياته العملية الأولى ناقصة. ثم تحدث عن طموح الطغرائي للوزارة حتى أنه أنفق فيه أموالا طائلة، وأرجع شهرة الطغرائي بوجه خاص إلى قصيدته لامية العجم، التي نظمها في بغداد سنة ٥٠٥ هـ، وشكى فيها من الأوقات العصيبة التي يمر بها، فيقول: "ولعل هذه القصيدة، وقد نشرها غوليوس Golios ومعها ترجمة لاتينية، كانت أقدم الأمثلة على الشعر العربي الذي كان في استطاعة أوساط في أوروبا أوسع دائرة في ذلك الحصول عليها، وقد أعيد طبعها مرارا، وترجمت إلى لغات أخرى.." [٢] ثم تحدث عن شغف الطغرائي بعلم الكيمياء، وأن له فيه مؤلفات، بعضها مطبوع، والبعض الآخر لا زال مخطوطا حتى الآن.

١_كرنكو: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مادة طغرائي، ترجمة صبحي، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، ج ٢٥، فاتحة_ القادرية، ص ٦٨٧٠.

كما أشار إليها علي جواد الطاهر: الطغرائي (حياته_ شعره_ لاميته)، مكتبة النهضة_ بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٣ م، ص ١٣٥.

٢_ذكر طبعات قصائده: " الديوان الأستانة ١٣٠٠ هـ، اللامية طبعة غوليوس ليدن ١٦٢٩، وقد أعاد درسلوت Sloot H.Van der طبعه في فرانكر سنة ١٧٦٩، E.Pocock أكسفورد ١٦٦١ مع ترجمة لاتينية، وقد أعاد طبعه J.Hierth في institutions Arabica بينا، L.G. pareau أوترخت ١٨٢٤ و A. Raux باريس ١٩٩٣ مع ترجمة فرنسية، وثمة ترجمات إنجليزية بقلم J. D carle ، Specimens of Arabic poetry: lyle ، وقد أعاد طبعه W.A clauston ، Arabic potery كلاسكو ١٨٨١، L. Chappelow كمبردج ١٧٥٨ (نقلا عن طبعة pocockاللاتينية) وثمة ترجمة فرنسية بقلم P. Vattier ، باريس ١٦٦٠، نقلا عن طبعة Golius وطبعة Raux.

أما عن الشروح فقد بدأ بذكر شرح صلاح الدين الصفدي: "الغيث المسجم في شرح لامية العجم"، وثمة شروح وردت في مخطوطات هي نشر العلم في شرح لامية العجم، بقلم محمد بن عمر الحضرمي (ت ٩٩٣ هـ) ومنه نسخ في بعض المكتبات، ونبذ العجم عن لامية العجم وقد صنفه جلال بن خضر في الأستانة سنة ٩٦٢، ولعل أقدم شرح هو الشرح الذي كتبه أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، وأما الشرح الذي بقلم كمال الدميري فهو أيضا لا يعدو أن يكون ملخصا لشرح الصفدي، وتوجد غير ذلك ملخصات كثيرة. (١)

وختم ترجمته للطغرائي بتأكيد أن سِيَرَ الطغرائي جميعها تستقي من المصادر نفسها، وذكر منها: ياقوت إرشاد الأريب، وابن خلكان، طبعة القاهرة، والصفدي: الغيث، وابن الأثير في كتابه (الكامل) في مواضع متفرقة، كما أشار إلى أن أشعاره ذكرت في جميع دواوين الشعر المتأخرة.

وإذا انتقلنا إلى نيكلسون في كتابه "تاريخ الأدب العباسي" فقد أورد في ترجمته للطغرائي الحسن بدلا من الحسين، ولم يشر نيكلسون إلى ديوانه بينما اقتصر على ذكر لاميته، عاقدا موازنة بينها وبين لامية الشنفرى، ورأى أن الصفة الوحيدة المشتركة بينهما أنهما من الروي نفسه، بينما هما مختلفتان.

"ففي حين أن الشنفرى يصف مصاعب الحياة طريد العدالة في الصحراء، نجد الطغرائي وهو ينظم في بغداد يشكو سوء زمانه الذي وصل إليه، ويتذمر من منافسين شبان وضيعين مداهنين قد فضلوا عليه على حين أنه ترك بدون صديق وأهمل في شيخوخته". (٢)

١_انظر: موجز دائرة المعارف: ص ٦٨٧٠: ٦٨٧١.

٢_ رينولد أ. نكلسن: تاريخ الأدب العباسي، ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي، المكتبة الأهلية/ بغداد، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧ م، ص ١١١.

وكأن الطغرائي يتذمر من نعيم عاش فيه، فهو أيضا مطارد حبيس نفسه وغربته، الموت يقترب منه بتهمة لا تليق، فالتحامل عليه واضح لا ريب.

ومن الحديث عن رؤى المستشرقين وأنماط قراءاتهم لشعر الطغرائي، إلى قراءات ورؤى نقاد العرب وأدبائهم المعاصرين، ولتكن الوقفة الأولى على كتب التراجم ومعاجم الشعراء، وكيف كانت نظرتهم للطغرائي وشعره، هل كانت ترجمتهم له شبيهة بترجمات الأقدمين أخذا واقتباسا؟ أم أضافوا جديدا؟

عرف صالحية الطغرائي في معجمه، بقوله: هو "الحسين بن علي مؤيد الدين أبو إسماعيل". [1]، ثم ذكر له خمسة كتب مطبوعة، مشيرا تفصيليا إلى طبعاتها وتواريخ نشرها، وعدد صفحاتها [2] وهناك كتاب آخر خاص بلامية الطغرائي ذكره صالحية من

---

١ _ د. محمد عيسى صالحية: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، معهد المخطوطات العربية/ القاهرة، ١٩٩٣ م، ج ٣، ص ٥١٠: ص ٥١٢.

٢ _ هذه الكتب الخمسة هي: تحفة الرائي للامية الطغرائي: شرح محمد أفندي عليّ المنياوي، القاهرة، نظارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م، ويقع في ٨٦ صفحة، وديوان الطغرائي: وله طبعتان، الطبعة الأولى طبعة الجوائب، الدولة العليا، استانبول، ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢ م، ويقع في مائة وثلاث وأربعين صفحة، والطبعة الثانية بتحقيق عليّ جواد الطاهر ويحيى الجبوري، وزارة الثقافة والإعلام/ بغداد، ١٩٧٦ م، ويقع في ٤٥٣ صفحة+ م ٣٦ صفحة+ ٩ صفحات نماذج مصورة من المخطوط، فهرس ٦ صفحات: القوفي، الأعلام، المواضع، والبلدان، الأقوام، والقبائل والجماعات، ورسالة ذات الفوائد (رسالة في الكيمياء): تحقيق رزوق فرج رزوق، مجلة المورد، بغداد، المجلد الثالث، العدد الثالث، وتقع في ١٢ صفحة (١٩٥_ ٢٠٦) ملحق في ٢ صفحة، فهرس ٢ صفحة يحتوي على المصادر والمراجع، ولامية الطغرائي: وله طبعتان، تحقيق وتحليل علي جواد الطاهر، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٥، ١٩٦٢ م، وتقع ف ٦١ صفحة، ملحق في ٨ صفحات، فهرس ٤ صفحات، المصادر والمراجع: المحتوى، وبغداد مطبعة العاني ١٩٦٢ م، ولامية العجم:

_ أكسفورد ١٦٦١ م. Excudebat. H.Hall Academiac, Typographus_عناية بكوك

_عناية رايسكي، ألمانيا، فرانكفورت، ١٧٦٩ م.

_ بيروت: الشراكة الشهرية (الكتاب الثامن)، ١٨٨٥ م، ٣٦ صفحة.

←←←

خلال حديثه عن مؤلفات الزمخشري، إعداد عبد المعين الملوحي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦١ م: وردت في كتاب "اللاميتان: لامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي من شروح الزمخشري والصفدي". (١)

كما ذكر صالحية كتابا آخر يتعلق بالدراسات التي دارت حول اللامية في معرض حديثه عن مؤلفات الصفدي، وهو كتاب "الغيث المسجم في شرح لامية العجم للطغرائي". (٢)

هكذا وقف صالحية على شعر الطغرائي، بوصفه جزءا من التراث العربي المطبوع، وقد أولى اللامية عناية خاصة، إذ قدم ذكرها على ديوانه، وكان هو الأولى بالذكر، ثم ذكر الديون، ثم رسالته في الكيمياء "ذات الفوائد" ثم رجع إلى اللامية مرة ثانية وثالثة، فاصلا للدراسات العربية المتعلقة بها عن ترجمات ودراسات المستشرقين، كما ذكر كتاب "اللاميتان" إعداد الملوحي، وهذا دليل على أن لاميته تمثل قلب إرثه الأدبي.

→→→

_الدولة العلية، الأستانة: مطبعة الجوائب، ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢ م.، ١٩٠٣ م. ٤٥ صفحة، منها ٣٧ ص بالعربية، Erenst Leroux، باريس: على نفقة A.Raux عناية م ٧ ص بالفرنسية.

_عناية فراين، العجم، قازان، ١٨١٤ م.

١_ المعجم الشامل: ج ٣، ص ١٠٧.

٢_المعجم الشامل: ج ٣، ص ٤٥٥_ ٤٥٦.

_ القاهرة: المطبعة الوطنية، ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣ م، ٢ ج، ١٣٢٠/ ١٩٠٢ م.

_ القاهرة: المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧ م، ج ١: ٢٧٢ ص، ج ٢: ٢٧٢ ص.

_ القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٩٦٠ م، ٢ ج.

_ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م، ج ١: ٥٠٢ ص، م ٤ ص، ف ٥٠ ص: الأعلام، الأماكن، الشعر، الآيات القرآنية، الخطأ والصواب، فهرس الكتاب، ج ٢، ٥٠٤ ص، ف ٤٠ ص: الأعلام، الأماكن، فهرس الشعر، الآيات القرآنية، الخطأ والصواب، الموضوعات.

_ تحقيق عبد المعين الملوحي، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٦٦ م.

أما عفيف عبد الرحمن فقد ترجم للطغرائي ترجمة أقرب ما تكون إلى الترجمة التاريخية، ذاكر نسبه ومولده ووافته، متطرقا لبعض أطراف من حياته، خاصة إذا ارتبطت درة قصائده بحدث تاريخي يعد الأهم في حياته وهو عزله عن منصبه، وتجريده من آماله وطموحاته، واتهامه بالإلحاد وقتله على يد السلطان محمود صبرا، وأشهر شعره لاميته، ومطلعها: أصالة الرأي صانتني على الخطل، ثم ذكر ديوانه بطبعيه، طبعة الجوائب القسطنطينية ١٣٠٠هـ، وطبعة دار القلم/ الكويت بتحقيق علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري ١٩٨٣ م. [١]

وسلك الجبوري مسلك عفيف عبد الرحمن في معجمه، فقدم بالتعرف بالطغرائي، ذاكرا نعوته وألقابه، فهو الطغرائي، الوزير، الكاتب، الشاعر، الأستاذ، ثم أشار إلى اتصاله بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته، ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء، كما أشار الجبوري إلى اتهامه بالإلحاد، ومن ثم قتله، وإلى براعته في الكيمياء وتأليف الكتب فيها، كما ذكر أن له ديوان مطبوع جمعه أحفاده حققه علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، ولم يرد عنده ذكر اللامية منفصلة، كما هو الحال عند معظم من ترجم له. [٢]

وقد عرف د. شامي [٣] الطغرائي بأبي إسماعيل الحسين بن علي مؤيد الدولة، وعده من الشعراء الكتاب، وذكر أنه ولي الوزارة للسلطان سعيد السلجوقي صاحب الموصل، وذكر من آثاره ديوان الشعري فقط، وذكر لاميته (لامية العجم)، وعدها أشهر شعره، وأولها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل

١_عفيف عبد الرحمن: معجم الشعراء العباسيين، جروس برس طرابلس_ لبنان/ دار صادر_ بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م، ص ٢٥٣: ص ٢٥٤.

٢_انظر: كامل سلمان الجبوري: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م، الجزء الثاني، ص ١١٦: ص ١١٨.

٣_ د. يحيى شامي: موسوعة شعراء العرب، دار الفكر العربي، بيروت، ج ٢، ١٩٩٢ م. ص ٢٠٩.

كما ذكر أن وفاته كانت سنة (٥١٢ هـ/ ١١٢٠ م)، وأخيرا أورد نماذج من شعره، ذاكرا ثلاثة أبيات من قصيدته في الشمعة، وثلاثة أخرى عدها من جيد حكمه.

كما ترجم له مؤلفو (المعجم الأساسي/ لاروس) الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، واصفين إياه بأنه شاعر وحكيم وكيميائي ووزي في البلاط السلجوقي، له ديوان شعر، أشهر قصائده (لامية العجم) المليئة بالحكم. [١]

هذا وقد تردد اسم الطغرائي في كتب الشيعة ومؤلفاتهم، فإذا كان قد اتهم بالإلحاد والزندقة حتى يكون أمر قتله مبررا، فربما هذا لم يكن بسبب إلحاده وإنما كان بسبب تشيعه، وإن كانت الباحثة لا ترى في شعره تشيعا، فمن منا لا يحب آل بيت رسول الله صلى الله وسلم، ويأتي ذكرهم رضوان الله عليهم على لسانه، وينتمي إليهم بشكل أو بآخر، وإذا أردنا تتبع شعر الشعراء منذ العصر الإسلامي وحتى عصرنا الحديث نجد أن لسان معظمهم يلهج بذكر آل البيت، وشاعرنا الطغرائي لم يكن أبدا شيعيا متعصبا، وربما الاضطرابات السياسية في عصره هي التي دفعت البعض إلى عده من هذه الفئة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف قُرِأ شعر الطغرائي، وما الدوافع التي دفعت بالبعض إلى عدِّه ضمن هذه الطائفة؟

نظر بعض المؤلفين إلى شعر الطغرائي نظرة متشيع، وأخذوا في سوق الأمثلة وتوظيف بعض أقواله لإثبات تشيعه، ويأتي كتاب "نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر" في مقدمة الكتب التي تحدثت عن تشيع الطغرائي، فنجد صاحب الكتاب لم يعدّه شيعيا فحسب وإنما جعله من كبار المتشيعين، فبعد أن بدأ بالتعريف بالطغرائي ونسبته وألقابه، معدِّدا مناقبه وفضله، مصدقا على كلامه برأي الأقدمين فيه، وفي مقدمتهم الصفدي وابن خلكان، مؤكدا مدى اهتمامهم بشعره دون نثره، فيقول: "وكلهم

١_ ص ٩٣٩، مادة (طَغَرَ).

شحّوا على لؤلؤ منثوره فلم يوشحّوا به عقيلة الكتب، والشرط في كتابي ذا أن لا أذكر فيه بالذات غير متشيع، وكان الطغرائي من كبار المتشعين". [١]

ثم أخذ صاحب (نسمة السحر) في سوق الأدلة من شعره على تشيعه، منها إيراده قوله:[٢]

أما الزمـــانُ ففي تنبيهِهِ عِبَـــــرٌ [٣]	**لولا الغِشاوةُ في أجفـــانِ مسبوتِ**
عصــراهُ قد حَـــذَّرا تأكيدَ سحرِهمـــا	**كما سَمِعْتَ بهـــاروتٍ ومـــاروتِ**
أهونْ بصرفيهِ من بُؤسٍ ومن نُعُـــمٍ	**ولا تُبَالِ بما يأتِـــي ومـــا يوتـــي**
ولا تخصَّ بمقتٍ بعـــض سيرتِـــــه	**فليس في الدهرِ شيءٌ غيرُ ممقوتِ**
لو كـــان يُعجِبني شيءٌ لأعجبنـــي	**فيه شماتةُ مكبـوتٍ بمكبـــــوتِ**
أما رأيتَ حظوظَ الدَّهْرِ قـــد عُكستْ	**فالماءُ للضَّبِّ والرمضاءُ للحُـــوتِ**
ومبسِمُ ابنِ رســـولِ اللّه قـــد عبثتْ	**بنو زيـــــادٍ بثَغْـــرٍ منه منكوتِ**
فاقنعْ من العيشِ بالميسورِ تَحظَ به	**فلا خَلاقَ لما أربَى على القُـــوتِ**
قوتٌ بماءٍ [٤] **سَحابٍ أمسكا رمقـــا**	**فمـــا التنافسُ في دُرٍّ وياقـــوتِ**

وهي قصيدة عدتها سبعة عشر بيتا على بحر البسيط، وهي قصيدة تشع منها الحكمة في معظم أبياتها، ففي الزمان عبر وعظات لمن أرد أن يعتبر، ويحث الأنسان ألا يشغل باله بما هو آتٍ، وعلى الإنسان أن يتصف بالقناعة والرضا، فالسعادة والتنافس ليست في البحث عن الدر والياقوت، ولكن في القناعة برشفة ماء تسد عطشا، وفي زحام هذه الحكم أشار الطغرائي إلى ذلك الموقف الحزين في مجلس ابن زياد حينما اخذ ابن زياد عصاه وجعل يضرب مبتسم الحسين رضي الله عنه، وقصتها أنه

١_ ضياء الدين اليمني الصنعاني (١١٢١ هـ): نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م، ج ٢، ص ٥.

٢_ انظر الديوان: تحقيق علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، قافية التاء، ص ١٠٣.

٣_ في الديوان: عِظةٌ.

٤_ في الديوان: ودَرُّ.

"لما وصل رأس الحسين إلى ابن زياد جعل ينكث ثنيته بقضيب في يده، فقال له زيد بن أرقم: والله الذي لا إلى غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبلهما". [١]

كما أكد مدى تشيعه بمقطوعة أخرى وعدتها سبعة أبيات: [٢]

حُبُّ اليهودِ لآل موسى ظـــاهِرٌ	**وولاؤُهم لبني أخيـــه بـادي**
وإمامهم من نسلِ هارونَ الأُلَى	**بهِم اهتدَوا ولكلِّ قومٍ هادي**
وأرى النصارى يُكرِمــونَ محبَّةً	**لنبيِّهم نَخِــراً من الأعـــوادِ**
وإذا تولَّى آلَ أحمـــدَ مسلـــمٌ	**قتلـــوهُ أو وسموهُ بالإلحَــادِ**
هذا هو الدَّاءُ العيــاءُ بمثلِـــهِ	**ضلَّتْ حلومُ حواضرٍ وبوادي**
لم يحفَظوا حَقَّ النبيِّ محمَّـــدٍ	**في آلِـــه واللّهُ بالمرصـــادِ**

هذه الأبيات في أهل البيت رضوان الله عليهم، ونلاحظ فيها شدة مظلمته اولاً وعمق معاناته وتحمسه في ولاءه لآل البيت ثانيا والذي ربما كان سبب استشهاده، وفيها يؤكد الشاعر أن كل قوم يحبوا آل بيت نبيهم، إلا قوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول بحب اليهود لآل موسى وولاؤهم لهم ظاهر، وكذا النصارى، وهو ما لا نجده في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الذين لم يحفظوا حرمة وحق النبي صلى الله عليه وسلم في آل بيته، فما إن تولى منهم مسلم تقي زمام الأمور رموه بالإلحاد وقتلوه، ولعله هنا يقصد الإمام الحسين ومقتله رضي الله عنه، وربما يقصد نفسه وما آل إليه

١_ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): المنتظَم من تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ج ٥، ص ٣٤١.

٢_ الديوان: قافية الدال، ص ١٣٧.

حاله. ويعلق صاحب نسمة السحر على هذه الأبيات بقوله: "صدق الطغرائي، ما زال المتعصب يَسِمُ المتشيع بالإلحاد أو قريب منه". (١)

ثم ذكر نماذج من شعره، خاصة في الغزل، ثم ذكر "أنهم لمَّا أرادوا قتله أمروا به فربط إلى أصل شجرة، وأوقفوا أمامه جماعة معهم النشَّاب ليرشقوه، وأمروهم ألا يرموه حتى يؤمروا، وأرسلوا شخصا يقرب منه ليسمع ما يقول في تلك الحال، فسمعه وقد ارتجل وسهام المنايا مفوّقة إليه (من الكامل):

ولقد أقولُ لمن يسدِّدُ سهمَـــهُ نحوي وأطـــرافُ المَنِيَّةِ شُرَّعُ
والموتُ في لحظاتِ أخزرَ طرفُهُ دوني وقلبي دونَـــهُ يتقطَّـــعُ
باللّهِ فتِّشْ عن فـــــؤادِيَ أوّلاً هل فيه للسَّهمِ المُسَدَّدِ موضِعُ
أهوِنْ بهِ لو لم يكنْ في طَيِّـــهِ عهدُ الحبيبِ وسرُّه المستودَعُ

وعلق على هذه الأبيات بقوله: "قال الشيخ صلاح الدين الصفدي فأقول: ما هذا ثبات جنون، بل ثبوت جنون، لقد أربى بشجاعته على من تقدَّمه، وفات من تأخر عنه. قلت: أما كان قلبه غلا بين جنبي أسد، بل هو أثبت منه وأشد". (٢)

ولعل صاحب نسمة السحر يستشهد بهذه الأبيات على أساس أن الطغرائي يقصد بالأحبة أنهم آل البيت، وسواء كان يقصد هذا أم لا فهي أبيات بلغ فيها الألم والمرارة مداه، وفيها من الإيمان والثبات قدر كبير، حتى قيل إن الجلاد رق لحاله وفكه وتركه الاّ أن اصرار الطغاة الظلمة لاحقه فقتل بعدها.

ورغم أن الصنعاني يخص بالذكر الحديث عن تشيع الطغرائي، لكنه أورد اللامية كاملة لتكون لفصول النسمة السحرية_ على حد وصفه_ كالربيع، وأن الطغرائي أرد بها معارضة لامية العرب للشنفرى المعروفة بلامية العجم، كما ذكر نماذج من غزلياته كما سبق وأن أشرت من قبل.

١_ نسمة السحر: ج ٢، ص ٧.
٢_نفسه: ج ٢، ص ١٠.

وعند السيد العاملي في كتابه أعيان الشيعة ورد كذلك ذكر الطغرائي، وإن كان ذكرا عابرا، إذ اكتفى العاملي بذكر اسمه ولاميته، فقال عنه: " أبو إسماعيل الطغرائي صاحب لامية العجم، اسمه الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد". [١]

كما جاء ذكر ديوان الطغرائي طبعة الجوائب ١٣٠٠هـ في كتاب آغا بزرك الطهراني [٢]، فقال: " (ديوان طغرائي) كبير موسوم بالفريد طبع في الجوائب (١٣٠٠) لفخر الكتاب مؤيد الدين أبي إسماعيل بن علي بن محمد بن عبد الصمد الطغرائي، صاحب لامية العجم المشتملة على الآداب والحكم والشهيد ظلما في (٥١٣) أو(٥١٥)".

وقد سلك جواد شُبَّر [٣] مسلك الصنعاني في إيراد نماذج من شعره تثبت مدى تشيع الطغرائي، مستهلا حديثه عنه بقوله:

ومبسِمُ ابنِ رسولِ اللّه قد عبثتْ بنــو زيادٍ بثَغْرٍ منه منكوتِ

وقد مر بنا تفسير هذا البيت من قبل، وهو حادثة الإمام الحسين رضي الله عنه، وهو ضمن قصيدة عدتها سبعة عشر بيتا، وجاء أكثر أبياتها في الحكم. ثم شرع في التعريف به وبفضله، وذكر أن له مقطوعتين في ولائه لأهل البيت عليهم السلام ومدحهم، ونقمته على الظالمين، أما المقطوعة الأولى على بحر الكامل وعدتها سبعة أبيات، ومطلعها: [٤]

---

١ _ السيد محسن الأمين الحسينيي العاملي: أعيان الشيعة، الطبعة الأولى، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٧ م، ج ٦، ص ١٣٦.

٢ _آقا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الطبعة الأولى، النجف، طهران، ١٩٥٩ م، الجزء التاسع، القسم الثاني، ص ٦٤٨: ص ٦٤٩.

٣ _ راجع: جواد شُبَّر: أدب الطَّفّ أو شعراء الحسين عليه السلام، من القرن الأول الهجري حتى أوائل القرن الرابع عشر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ م، الجزء الثالث. ص ٢٧: ص ٣٨.

٤ _ ديوان الطغرائي: ص ١٣٧.

حُبُّ اليهودِ لآل موسى ظاهِــرٌ ووِلاؤُهم لبني أخيــه بادي
وإمامهم من نسلِ هارونَ الأُلَى بهِم اهتدَوا ولكلِّ قومٍ هادي

ويقول معلقا على هذه القصيدة: "وكأن هذه القطعة كانت لسان حاله، فقد رمي بالإلحاد في آخر حياته، وقتل بهذه التهمة ومضى شهيدا محتسبا". [١] وكأن هذه القصيدة هي الذريعة والشرارة الأولى لاتهامه بالزندقة والإلحاد ومن ثم قتله.

أما القطعة الثانية والتي قالها في مدح معين الملك، ويظهر فيها حبه وانتمائه إلى أهل البيت، وعدتها ثلاث أبيات على بحر الطويل: [٢]

توعَّدَنِي في حُبِّ آلِ محمَّــــدٍ وحبِّ ابنِ فضلِ اللّه قومٌ فأكثروا
فقلتُ لهم لا تُكْثِروا ودعُوا دَمِي يُراقُ على حُبِّي لهم ثم يُهــدَرُ
فهذا نجاحٌ حاضِــرٌ لمعيشتِي وذاكَ نجــاةٌ أرتجي يوم أُحْشَرُ

فنلاحظ من خلال الأبيات السابقة أن الطغرائي كان عرضة دائما للتهديد والمؤامرات ومحاولات اغتياله، ويذكر ذلك في قوله: "توعدني".

ثم أورد بيتين آخرين في أهل البيت وذكر أن ابن شهراشوب ذكرهما في المناقب [٣]، وهما بيتان مذكوران بالفعل في الديوان ضمن قصيدتها عدتها عشرون بيتا قالها في مدح معين الملك، ومطلعها [٤]

نُجومُ العلى فيكُمُ تطلعُ وغائِبُها نحوَكُمْ يرجِعُ
عُلىً تستقِلُّ ولا يَسْتَقرّ بها دونَ بابِكُمُ مضجَعُ

١_ أدب الطَّفّ الجزء الثالث، ص ٢٩.

٢_ ديوان الطغرائي: ص ١٩٣: ص ١٩٤.

٣_ محمد بن علي بن شهر اشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ): مناقب آل أبي طالب تحقيق د. يوسف البقاعي، دار الأضواء/ بيروت، ط ٢، ١٩٩١ م/ ١٤١٢ هـ، ٤/ ٢٩٤_ وينظر ما كتبه المحقق في حاشيته رقم ٣ من الصفحة نفسها عن تشيع الطغرائي ومقتله ظلما.

٤_ ديوان الطغرائي: ص ٢٣١: ص ٢٣٢.

كما ذكر قصيدة الطغرائي الشهيرة "لامية العجم"، ورأى أنها سميت بهذا الاسم لأن ناظمها عجمي أصبهاني، وإن سبق وأن ذكرت الباحثة أن الطغرائي وإن كان عجمي الأصل، فهو عربي النشأة، والنشأة دون شك هي العامل الأكبر المؤثر في الإنسان وليس أصله ومولده. كما رأى أن لامية العجم هي في مقابل لامية العرب للشنفرى، ثم أخذ في التحدث عن اللامية وأن الصفدي قام بشرحها شرحا مفصلا، كما أن ياقوت وابن خلكان قد أورداها بتمامها لإعجابهما بها، مشيرا إلى اهتمام المستشرقين بها وترجمتها إلى اللغة اللاتينية.

ثم أورد قول الطغرائي والسهام موجهة نحوه ولم يعلق عليه:

ولقد أقولُ لمن يسدِّدُ سهمَـــهُ نحوي وأطرافُ المَنِيَّةِ شُـــرَّعُ

والموتُ في لحظاتِ أخزرَ طرفُهُ دوني وقلبي دونَهُ يتقطَّـــــعُ

باللّهِ فتِّشْ في فؤادي هـل يُرى فيه لغير الأحبة موضِـــــعُ (١)

أهونْ بهِ لـــو لم يكنْ في طَيِّهِ عهدُ الحبيبِ وسرُّه المستودَعُ

كما ذكر تشطيرها وتخميسها، فيقول: "وشطرها وخمسها كثيرون وأعجبني من ذلك تخميس جرجي أفندي نخلة سعد، من أدباء لبنان، نشرته مجلة العرفان اللبنانية، وأوله:

تركت صحبي بين الكأس والغزل يداعبـــون ذوات الأعيـــن النجب

أما ولسان الحق يشهـــد لـــي أصالة النفس صانتني عن الخطل

وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وكل التخميس جاء مجاريا لمتانة القصيدة منسجما معها". (٢)

ثم أورد عددا من أبيات اللامية، ثم عاد مرة أخرى للحديث عن الطغرائي ووزارته وفضله، وتلقيبه بالمنشئ، ومعرفته بصناعة الكيمياء وإنفاقه فيها الأموال الطائلة، ثم

١_في الديوان: باللّهِ فتِّشْ عن فؤاديَ أوّلاً هل فيه للسَّهمِ المُسَدَّدِ موضِعُ

٢_ أدب الطف: ص ٣٠.

تحدث عن قتله ظلما، كما أورد بعض آراء المؤرخين فيه وفي شعره، ويأتي الصفدي في مقدمتهم، وكذا عماد الكاتب في خريدة القصر، وابن خلكان في وفياته، وغيرهم، وأخيرا ذكر نماذج من شعره في مدح العلم، ووصف طلوع الشمس وغروب البدر، ومدح معين الملك وتعزيته في نكبته [١]، وختم حديثه عن الطغرائي بعشر أبيات من قصيدته في الفخر وعدت القصيدة أربعة وعشرون بيتا والتي مطلعها: [٢]

أبى اللهُ أن أسمو بغيرِ فضائلي ... إذا ما سمـــا بالمال كلُّ مُسَوَّدِ

وإنْ كَرُمتْ قبلي أوائــلُ أسرتي ... فإني بحمدِ الله مبدأُ ســـؤددي

وما المالُ إلا عـــــارةٌ مُستَرَدةٌ ... فهلَّا بفضلي كاثروني ومَحتِدي

كما ورد ذكر الطغرائي في (دائرة المعارف الشيعية) ضمن النوابغ في أصفهان، فقال الأمين: " ونبغ في أواخر القرن الخامس الطغرائي صاحب لامية العجم، المستشهد في الربع الأخير من القرن الخامس". [٣]

هكذا كانت بعض قراءات الأدباء والنقاد الذين استفادوا بشكل أو بآخر من بعض شعره وأبياته، في إثبات مدى تشيعه، وربما كان الطغرائي متشيعا فعلا، ولكن يبدو أنه كان يكتم تشيعه، فالأبيات التي تدل على تشيعه في ديوانه قليلة جدا إذا قيست بالأغراض الأخرى، وإن كان القارئ لشعر الطغرائي يستطيع أن يلمس ويشم رائحة الآلام والاضطهاد التي كانت تمارس ضده، ربما لتشيعه وربما لنبوغه، وربما لأشياء أخرى.

---

١ _ معين الملك أبو المحاسن محمد بن كمال الدولة فضل الله بن محمد صاحب ديوان الإنشاء والطغراء في وزارة نظام الملك، كان ينوب عن أبيه في ديوان الإنشاء وقد قربه السلطان ألب أرسلان، وزادت منزلة معين الملك بعد أن تزوج بابنة نظام الملك، ولكنه انحاز بعد ذلك إلى أحد أعداء نظام الملك فأدى ذلك إلى نكبته وسجنه وسمله.

٢ _ الديوان: ص ١٣١: ص ١٣٤.

٣ _ حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف للمطبوعات/ بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م، ج ٤، ص ٢٢٦.

شعر الطغرائي في الموسوعات ودوائر المعارف:

ورد ذكر الطغرائي في دائرة معارف القرن العشرين [١]، فبدأ المؤلف بتقديم ترجمة له، وذكر فضله وأنه فاق أهل عصره في الشعر والنظم، ثم ذكر اتهامه بالإلحاد وقتله سنة وقد جاوز الستين، مختتما حديثه عنه بأنه صاحب اللامية المشهورة بلامية العجم وأثبتها لبلاغتها وجلال حكمها_ على حد قول_، ثم أورد نماذج أخرى من أشعاره.

ونجد الموسوعة الثقافية قدمت ترجمة للطغرائي موجزة مكثفة للطغرائي، لكنها ترجمة وافية إلى حد كبير، حتى يمكن القول فيها إنها ترجمة جامعة مانعة، فهو "شاعر أديب، ولد في أصبهان، كان يكتب الطغرى (نعوت الملك وألقابه) في اعلى الكتب، كتب للسلطان ملكشاه، وتولى الطغراء لابنه محمد ولمحمود بن محمد. وتولى الوزارة لمسعود في الموصل. ولما انتصر محمود على أخيه مسعود قبض عليه، وتهمة الإلحاد. ألف عدة كتب في الكيمياء، واشتهر بقصيدته (لامية العجم) التي شُرِحت وشُطِّرت وتُرْجِمت إلى عدة لغات". [٢]

وقد اختزل المؤلف في هذه السطور القليلة الكثير عن الطغرائي، فعرف باسمه أولا دون الدخول في تفاصيل نسبه، مكتفيا بقوله: الطغرائي: الحسين بن علي (١٠٦١_١١٢١ م) ثم أشار إلى تدرجه المناصب، بداية من تقربه من السلطان ملكشاه ثم توليه الطغرى ثم الوزارة، وثقافته الواسعة واطلاعه على العلوم وخاصة الكيمياء، وشهرته بلاميته التي ترجمت إلى لغات عدة، كما أشار إلى اتهامه بالإلحاد وقتله، مما يمكن القول إن كل كلمة ذكرها المؤلف حوت خبرا.

١_ محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون (الرابع عشر_ العشرين)، دار الفكر_ بيروت، المجلد الخامس، ص ٧٤١: ص ٧٤٧.

٢_ الموسوعة الثقافية: بإشراف د. حسين سعيد، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة_ نيويورك، دار المعرفة، مطابع دار الشعب/ القاهرة، ١٩٨٢ م، ص ٦٣٩: ص ٦٤٠.

من هنا يمكن القول باختلاف قراءة الطغرائي من معجم إلى آخر ومن ترجمة إلى أخرى، باختلاف رؤية مؤلفه، فمنهم من سلط الضوء على مولده وحياته، بوصفها جزءا لا يتجزأ من تكوينه المعرفي والثقافي، فقبل أن يؤثر هو في بيئته فإنه يتأثر بها، من ثم نجده حريصا على الوقوف عليها والإشارة إليها، خاصة إذا تعرض هذا الشاعر إلى موقف جلل، نتج عنه أشهر ما أبدع، كما هو الحال عند الطغرائي الذي تعرض للظلم والقهر والعزل من منصبه الذي طالما طمح إليه وكان ردة فعله لامية خلدت اسمه، وجعلته في مصاف الشعراء المشهورين، بينما بعضهم يهتم بإنتاجه الأدبي باعتباره هو الأهم، وأنه حصيلة خبراته وثقافته وآماله وآلامه.

أما الدراسات النقدية والأدبية للطغرائي وشعره فقد نالت النصيب الأكبر، إذ تعددت فيها الرؤى، واختلفت فها القراءات اختلافا واضحا، وبعد مراجعة العديد من الدراسات التي تناولت الطغرائي وشعره في العصر الحديث، وجدت الباحثة أن دارسي شعر الطغرائي انقسموا قسمين: القسم الأول تناول الطغرائي وشعره بصفة عامة، والقسم الآخر تناول لاميته الشهيرة المعروفة بلامية العجم، لذا ارتأت الباحثة تقسيم هذا المبحث محورين رئيسين: المحور الأول يدور حول قراءة شعر الطغرائي (الديوان) بصفة عامة، ويتناول المحور الآخر اللامية، وكان الفصل هنا أمرا ضروريا لما اختصت به (اللامية) من دراسات كثيرة مستقلة.

ويأتي علي جواد الطاهر في صدارة النقاد الذين اهتموا بشعر الطغرائي ولاميته، هذا الرجل الذي رافق الطغرائي طويلا، وله فيه ثلاثة كتب تعد هي الأهم في الدراسات الحديثة، فقد قام الطاهر بتحقيق الديوان مع د. يحيى الجبوري عام ١٩٨٦ م. [١]

١_ ديوان الطغرائي: تحقيق د. علي جواد الطاهر، و د. يحيى الجَبوري، مطابع الدوحة الحديثة_ قطر، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ _ ١٩٨٦ م، ص ٢٥: ص ٢٦.

ينظر: علي جواد الطاهر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، مطبعة المعارف_ بغداد، ج ١، ١٩٥٨ م.

وقد بدأ تحقيقه بمقدمة عرف فيها الطغرائي وثقافته وعلمه، والظروف السياسية والاجتماعية التي عاش فيها، وتوليه لديوان الطغراء عام ٥٠٥ هـ، وهو الطامح للوزارة فانعكس هذا على سلوكه بالطبع، مما أثار حنق الحاسدين الذين نجحوا في تغيير قلب السلطان عليه، فعزله من منصبه، في العام نفسه نظم لاميته الشهيرة "لامية العجم" وأفرغ فيها ما كان يصول في نفسه ويجول، ويبدو أنها كانت الأقرب إلى قلبه ونفسه، فأخذ يرويها على غيره، والمعجبون به وبشعره أخذوا يتراوونها، مما جعلها على قمة هرمه الشعري وقبلته.

والمخطوطات المتوافرة لدى الطاهر من نسخ الديوان رآها على مجموعتين: القسم الأول النسخ المرتبة على القوافي، عملها الشاعر بنفسه، أو عملت في حياته وبعلمه، والقسم الآخر النسخ المرتبة حسب الموضوعات، وأنها عملت بعد وفاته، ثم تحدث الطاهر عن منهجه في التحقيق مرتأيا أن الأصل في التحقيق أن يقدم المحقق النص حقيقا كما تركه صاحبه أو أقرب إلى ذلك، لذا نجده في تحقيقه الديوان رتبه على القوافي كما أراد صاحبه.

مختتما تحقيقه بتراجم للأعلام الواردة في شعر الطغرائي، في ترتيب معجمي متخذا اسم العلم أساسا، دون النظر إلى الكنى والألقاب في الترتيب، مشيرا إلى رداءة النسخة المطبوعة (الجوائب ١٣٠٠) ونقصها، ورغم هذا أكد عدم إهمالها، لتداول الباحثين لها وقراءتها مدة طويلة، وقبل تحقيق الديوان عرض الطاهر صورا من مخطوطات الديوان التي بحوزته لتأكيد ملكيته لها وأنها اطلع عليها أو حصل عليها، من ثمَّ جاءت نسخة الديون بتحقيقه أكثر وضوحا وترتيبا، ونجح الطاهر في تدارك أخطاء غيره في التحقيق، مما جعل تحقيقه يبدو أنه الأقرب إلى ما أرد صاحبه، فنجح في تحقيق بغيته التي أفصح بها وطمح إليها.

ولم تكن علاقه الطاهر بتحقيق ديوان الطغرائي فحسب، وإنما له دراسة بعنوان: الطغرائـي (حياته_شعره_لاميته) دراسة وتحليل [١]، صرح الطاهر من البداية بأن منهجه في التناول هو المنهج التحليلي، وجاء ذلك على غلاف الكتاب، تناول الطاهر في كتابه: حياة الطغرائي مقتبسا إياها من العديد من المصادر والمراجع، متوقفا عند سيرته، وآثاره، ثم توقف عند شعره، مقسما حديثه فيه قسمين: القسم الأول شعره بصفة عامة، وأن الطغرائي طرق فنون الشعر التقليدية جميعا، من مديح وغزل وهجاء ورثاء وفخر، واشتُهر برثائه لزوجته التي ماتت ولم يكمل سنة على زواجه، فرثاها بأحر القصائد وظل على حبها حتى بعد أن تزوج غيرها وأنجب، وعرف أيضا بمديحه وكان أمرا طبيعيا لشاعر يتخذه وسيلة للتقدم في مناصب الدولة، كما أنه يحسن العتاب والاعتذار، كقصائده في عتاب مؤيد الملك عندما حدثت قطيعة بينهما.

والقسم الآخر حديثه عن اللامية منفصلة نظرا لأهميتها من ناحية، وكونها أشهر شعره على الإطلاق، فذكرها كاملة ثم قام بشرحها متبعا المنهج التحليلي في شرح الأبيات، غير مكتف بشرح المعاني كما هو معهود عند معظم القدماء، وإنما يعمل فكره ونقده، من ذلك مثلا انتقاده للمقطع الغزلي الوارد في القصيدة، الذي بلغ تسعة عشر بيتا: [٢]

وذِي شِطاطٍ كصدرِ الرُّمْحِ معتقلٍ ... لمثلهِ غيرَ هيَّـــــابٍ ولا وَكِـــلِ
حلوُ الفُكاهِةِ مُرُّ الجِدِّ قد مُزِجتْ ... بقسوةِ البأسِ فيــه رِقَّةُ الغَـــــزَلِ

..

لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ ... برشقةٍ من نِبالِ الأعيُنِ النُّجُـــــلِ
ولا أهابُ صِفاح البِيض تُسعِدُني ... باللمحِ من صفحاتِ البِيضِ في الكِلَلِ
ولا أخِلُّ بغِزلان أغازِلُهـــــــا ... ولو دهتني أســـــودُ الغِيل بالغيَـــلِ

١_ علي جواد الطاهر: الطغرائي (حياته_ شعره_ لاميته)، مكتبة النهضة_ بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٣ م.

٢_ الديوان: ص ٣٢٠_ ص ٣٠٥.

إذ ينتقد الطاهر هذا المقطع الغزلي، ويرى _ والباحثة توافقه الرأي_ أن هذا ليس مكانه، وليس ملائما للجو النفسي والحالة النفسية التي يعيشها ويتألم فيها من قسوة الأحداث ومرارة الأيام، وإن لو كان ضربا من ضروب التقليد للقدماء، فإنهم كانوا يستهلون به قصائدهم، وليس كما فعل الطغرائي الذي بدأ قصيدته بالفخر، وجاء هذا المقطع الغزلي مقتحما موضعا غير موضوعه، ومكانا ليس بمكانه، وفي هذا يقول الطاهر: "إن أمر الغزل غريب في بابه، ونشاز في مكانه.. فلقد اعتدنا _أكثر ما اعتدنا_ أن يكون الغزل في مطالع قصائد المديح، أما في قصيدة تقال في الظرف الذي يعانيه الطغرائي فغير مألوف وغير مستساغ". (١)

ويحاول الطاهر أن يبرر للطغرائي إقحام هذا المقطع الغزلي في القصيدة، أنه ربما كان غزلا بالمجد وليس غزلا بالمرأة، لكنه يرجع ويقول إن هذا النوع غير مألوف في شعر الطغرائي ولا شعر عصره ولا حتى الشعر العربي، خاصة أن هذا المقطع الغزلي فصله انفصالا تاما عن الحالة التي كان عليها، وإذا انتقل القارئ من المقطع الأول متجاهلا أبيات الغزل هذه، لا يحس بغربة أو أن هناك شيئا قد فقد، بل لا يزال نسيج القصيدة متماسكا، ويهتدي في النهاية إلى أن "هذا المقطع الغزلي دخيل على القصيدة، وقد دسه الشاعر متأخرا عن الظرف الذي نظمها فيه، في إحدى قراءاته ومراجعاته". (٢)

ومن خلال ما سبق تؤكد الباحثة أن وقوف الطاهر على اللامية ليس لشرح مفرداتها أو الوقوف على معانيها فحسب، وإنما كانت نظرته للقصيدة نظرة ناقد له حس أدبي ونقدي متميز ورؤية كلية، مما يمكن القول معه إن الطاهر نجح في أن يقدم قراءة جديدة للنص خلقت منه نصا جديدا.

١_الطغرائي (حياته_شعره_لاميته)، ص ٩٧.

٢_ نفسه: ص ٩٨.

وبعد أن انتهى الطاهر من تقديم قراءته للامية، نجده يتناولها عبر العصور، مشيرا إلى مدى ولع عدد من الدارسين برد معاني اللامية إلى أصولها وفي مقدمتهم الصفدي، وإن كان صنيع الصفدي هذا بحسن نية فربما أراد بشرحه للامية كتابا أوسع من شرح، لكن بعض النقاد غالى في الأمر وفي مقدمتهم الأستاذ طه الراوي، الذي كتب مقالات يرد فيها اللامية إلى غير صاحبها، مستعينا بالطريق الذي مهده الصفدي وبالأمثلة التي أوردها، فيقول الراوي:" أن الرجل أغار على المعاني الرائعة لمعاصريه ومن قبلهم، فاعتصر منها خلاصتها، ثم صبغها بالألوان البراقة الجذابة، وأبرزها للناس على أنها نتاج قريحته، ووليدة يراعته، فأفتن الناس ببريق تلك الألوان، ونسوا ما وراءها من سبايا المعاني البارعة.. ونحن لا نري أن ننكر على الرجل أنه من بدعة الصاغة، ومهرة المصورين ولكنا لا نشك في أنه أقدر الناس على الانتفاع بنتاج غيره موهما أنه من نتاج فكره". (١)

وقد رأى الطاهر أن هذا نوع من أنواع التعسف، فالربط بين معنى بيت أو حتى أبيات لشاعر كبير مع أبيات لشاعر سابق أمر مألوف في الشعر العربي. واتصال اللامية بسابقاتها لو كان أخذا وسرقة لما كان للامية شأنها الكبير وما كانت حظيت بما حظيت به من انتشار واهتمام من قبل النقاد والأدباء حتى عصرنا الحاضر.

ثم أخذ الطاهر في سوق الأدلة من اللامية نفسها التي تؤكد مدى صحة نسبتها إلى صاحبها، وقد وصفه بالتمكن والقدرة على السبك والصياغة. كما نجح الشاعر في أن يحلي نظمه بوجوه البلاغة العربية، من مقابلة، وطباق، وجناس إلخ، كما يؤكد الطاهر أن الطغرائي ليس شاعرا أعجميا، لنسبته في مصادر مهمة لأبي الأسود الدؤلي وبني دئل من كنانة من عدنان، أم كونه يلقب بالأصبهاني فلأنه من مواليد هذه المدينة ومن أسرة تقطنها ليس إلا، أما لامية العجم فهي لا تتحدث عن العجم ولا إلى العجم، ويرى ان تسميتها بهذا الاسم لم يقم به الطغرائي ولم يشر إلى كونها على غرار (لامية

١_ طه الراوي: لامية العجم، مجلة الصبح بغداد، العدد ٥_ ٧، ١٩٦٣ م، ص ٤: ٦. عن كتاب د. جواد الطاهر (الطغرائي_ (حياته_شعره_لاميته)، ، ص ١٠٤.

العرب) من قريب أو من بعيد، حتى أنه دعا في النهاية إلى سد باب المقابلة بين اللاميتين. [١]

ويرى الطاهر أن السبب في تناقل اللامية على الألسن إعجاب الطغرائي نفسه بها لأنها تصور جانبا من نفسه وتؤرخ حدثا ضخما في حياته، كما أنها جاءت على عمود الشعر المستحب المستعذب في كل العصور دون أن تنسى ذوق عصرها في المعاني والبيان والبديع. كما أن ذيوعها لا يكمن في دلالتها على شاعرية فحسب بل لما تضمنته من حكم وأمثال، يستشهد بها الإنسان في سرائه وضرائه، في آماله وآلامه، وإن كان هو نفسه يرى أن سر خلود اللامية لا يكمن فقط فيما تضمنته من حكم وأمثال ولكن خلودها يكمن في عمق التجربة والعاطفة التي عبرت عنها بقدرة وبتمكن، فيقول عنها: "إنها تجربة خاصة، ولكن صاحبها كان من القوة والعنف بحيث أكسب هذه التجربة الشمول والدوام، ودل على استيعابه مجتمعه وانعكاساته في نفسه". [٢]

ثم يتطرق إلى قول بعض النقاد بأخذ الطغرائي عن سابقيه، ويرى أن هذا أمر طبيعي، فالربط بين معنى بيت أو أكثر لشاعر كبير مع غير أمر مألوف في الشعر العربي، ويؤكد أن اتصال اللامية بغيرها لو كان أخذا وسرقة ما كان لها هذا الشأن الكبير، وأخذ يسوق الأمثلة على ذلك، مؤكدا على أن لغة اللامية من أفصح ما يكون لفظا، إنها لغة امرئ أخذ اللغة عن أصولها ومرن نفسه عليها، حتى طوعها لقلمه ولسانه، فالطغرائي عاش نفسية صعبة وتجربة قاسية تمخضت عنها تلك القصيدة الخالدة، وإن كان الأمر مجرد أخذ أو اقتباس أو سرقة لما شاعت هكذا، ولما كانت محل تقدير ودراسة حتى أيامنا هذه.

١_ ينظر: الطغرائي (حياته_شعره_لاميته)، ص ١١٠_ ١١٥.

٢_ نفسه: ص ١١٧.

كما أشار الطاهر إلى أن اللامية من ضمن القصائد التي حظيت بشروح متعددة، حتى زادت شروحها على العشرة، وراح يسوق هذه الشروح معقبا عليها ناقدا منهج شارحيها، فيرى في كثرة تفريعات الصفدي في شرحه اللامية ما يجعلنا نخرج خروجا تاما عنها، حتى يقول:" إن في شرح الصفدي كل شيء إلا شرح اللامية". وقد تنبه القدماء إلى مساوئ شرح الصفدي فأخذوا في تنقيحه وتهذيبه، ومع هذا يظل شرح الصفدي قبلة لكل طالب علم يعني بمفردات اللامية مفرداتها وتراكيبها وإعرابها، ويعلق الطاهر على هذه الشروح بأنها لا تعدو أن تكون مقدمة لشروح، فالشرح الحقيقي هو الذي يبين جو القصيدة وظروفها وصلتها بناظمها، ومدى إعرابها عن حالته النفسية وصلة الأبيات والمقاطع بعضها ببعض، فكل هذه الشروح تطيل الشروح دون أن تربط الأبيات بعضها ببعض، ودون ان تصل المقطع بما قبله أو بما بعده، فجاءت هذه الشروح مفتقرة لوحدة الموضوع والجو النفسي العام للقصيدة.[١]

وفي ختام كتابه أشاره إلى مدى إعجاب الأدباء والنقاد باللامية، فعارضوها وشطروها، وذكر نماذج على هذا مما سيأتي ذكره لاحقا، كما أشار الطاهر أيضا إعجاب الغربيين بها، وأنهم ترجموها إلى الفرنسية والإنجليزية واللاتينية، معلقا على هذه التراجم بقوله: "ولقد اطلعت على عددا من الترجمات الإنجليزية والفرنسية فلم أجد للمترجمين تعليقات تستحق الذكر، وأكبر الظن أنهم أعجبوا لإعجاب العرب بها، وأنهم نظروا إليها بالعقلية نفسها".[٢]

وتخالف الباحثة الدكتور الطاهر في هذا الأمر، فللمترجمين هدف أكبر بكثير من مجرد النقل، فهم يترجمون للتعرف على تراث هذه الأمة التي دوما ما شغلوا بها، حتى أن كتبنا بل ومخطوطاتنا تعج بها مكتباتهم إلى الآن، ولا يزال هذا التراث مستهدفا منهم ومحط أنظارهم، فهناك حركات موجهة وغير موجهة إلى هذا التراث العربي الإسلامي،

١_ الطغرائي (حياته_شعره_لاميته): ص ١٢٢_ ١٢٣.
٢_ نفسه: ص ١٣٦.

كما أن للطاهر كتابا أخر بعنوان: "لامية الطغرائي"، حتى أنه يمكن القول: إن قراءة الطاهر للطغرائي وشعره تعد من أوائل الدراسات الحديثة وأعمقها.

وجاء بحث د. عباس الجراخ "ديوان الطغرائي_ نظرات نقدية... ومستدرك" [١] ليستدرك ما غفلت عنه طبعة الجوائب بالقسطنطينية، وتحقيق الطاهر للديوان، منوها على خلو طبعة الجوائب من أبيات الغزل الغلماني التي تضمنتها المخطوطات، قائلا: "لعل الناشر طواه عمدا لمعنى أخلاقي". [٢] واكتفى بذلك بالنسبة لطبعة الجوائب.

ثم تناول تحقيق جواد الطاهر للديوان سنة ١٩٤٣ م بالنقد والتحليل، مشيرا إلى اعتماد الطاهر في تحقيقه للديوان على مخطوطتي لندن وراغب باشا، فضلا عن مصادر أخرى مهمة، في مقدمتها وفيات الأعيان والغيث المسجم، بينما أهمل بعض المخطوطات الأخرى، ليصل الطاهر في النهاية بعدم وجود نسخة يمكن أن يطلق علها النسخة الأم "فالنسخ متقاربة فيما بينها، وليس فيها واحدة من عصر المؤلف أو من عصر قريب منه".[٣]

وبعد الدراسة والتحقيق وضح الجراخ أنه قد اعتمد على تسع من مخطوطات للديوان في استدراكاته على تحقيق الطاهر للديوان[٤] منوها على وجود مقاطيع شعرية أخرى خاصة بعلم الكيمياء الذي شُغِفَ به إلى جانب الديوان المحقق، قام بتحقيقها رزوق فرج رزوق، وتم نشرها في مجلة (المورد).[٥]

١_ المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م، ص ١٦٩: ص ١٨٠.

٢_الطغرائي حياته شعره لاميته، ص ٤٢ مع هامش رقم ٧٦.

٣_ ديوان الطغرائي: ص ٧.

٤_انظر: الجراخ: ديوان الطغرائي_ نظرات نقدية... ومستدرك، ص ١٧٠: ص ١٧٢.

٥_ مج ١٤، العدد ٤، ١٤٠٦ هـ_ ١٩٨٥ م، ص ١٦٩: ص ٢٤٢. عن الجراخ (ديوان الطغرائي_ نظرات نقدية ومستدرك).

وأوضح الجراخ أن منهج تحقيق الطاهر للديوان قام على نظام القوافي من ثم اعتمد الطاهر على نسختي لندن والقاهرة، وهما النسختان اللتان عملهما الشاعر بنفسه، مهتما بإيراد الفروق بين النسخ، غير مهتم بالتعليقات التي ينثرها المحققون في هوامشهم، فخلت هوامشه من كل شرح أو تعليق.

ثم أخذ الجراخ في نقد تحقيق الطاهر، وكان منها ما هو متعلق بالشكل ومنها ما هو متعلق بالمضمون، أما فيما يتعلق بالشكل ففي مقدمتها اقتصار الطاهر على الصفحات الأولى من المخطوطات التي اعتمد عليها، ورأى الجراخ أنه كان من المناسب أن تكون معها الصفحات الأخيرة، للوقوف على خواتيم المؤلفين والنساخ، وأن فهارس الكتاب قد ضمت القوافي، والأعلام، والمواضع، والبلدان، والأقوام، والقبائل، والجماعات، والموضوعات، ورأى الجراخ أن هذا فيه نوع من أنواع التبذير في الورق، ورأى أن عددا منها كان صالحًا لأن يُرسم على عمودين، أما من ناحية المضمون فقد انتقد الجراخ في خلو الديوان من التعليقات والشروح وكذا خلوه من تخريج القصائد والمقطَّعات على كتب الأدب والتاريخ التي حفلت بشعر الطغرائي، لمعرفة مدى دورانه وسيرورته من ناحية، وإثبات اختلاف الروايات بينها وبين النسخ المعتمدة من ناحية أخرى.[1] ثم أخذ في سوق الأمثلة على ذلك.

وتناول الجراخ في الجزء الأخير من بحثه ما استدركه على الديوان من قطع أخل بها، مقسما إياها إلى قسمين: القسم الأول ما كان للطغرائي، والقسم الآخر ما تنوزعت نسبه بين الطغرائي وغيره، وقد ذكر من الأول عشرة نصوص مستدركات، بينما ذكر من الآخر سبعة نصوص مستدركات، ومن أمثلة ما كان له التي ذكرها الجراخ، قول الطغرائي:

ومن عجب الأشيـــــاءِ أنِّـــي واقـفٌ ... على الكَنْزِ من يظفرْ به فَهُوَ مَبْخُوتُ

وأنَّ كنوزَ الأرضِ شرقـــــــًا ومَغربًا ... مَفَاتِحُهـــا عِنْدِي ويُعْجِزُنِي القُــوتُ

---

١ _ ينظر: الجراخ: ص ١٧٢.

ولولا ملوكُ الجَوْرِ في الأرضِ أصبَحَتْ وحَصْباؤُهـــا دُرٌّ لـــديَّ ويَاقـــوتُ

ويعقب على ذلك بقوله: التخريج:

الوافي بالوفيات ١٢/ ٤٣٣، عيون التواريخ ١٢/ ٩٥، والأخير فقط له في المقصد الأتم ٤٧.

ومن أمثلة المنسوب إلى الطغرائي وغيره، قوله:

كالطيرِ لا يُحْبسُ مِنْ بينِها إلا التِي تُطْرِبُ أصواتُها

التخريج: الدر الفريد ٨/ ٣٩٣، للوزير المغربي في المصدر نفسه ٥/ ٣٦٣، ولم يشر إلى هذا محقق الكتاب نفسه، ومن غير عزو في: وفيات الأعيان ١/ ١٥٤.

واختتم الجراخ بحثه بقائمة من المصادر والمراجع المخطوطة والمطبوعة، ومجموعة من الدوريات التي استعان بها لإنجاز هذا البحث.

ونلاحظ من خلال ما سبق أن الجراخ قد اهتم اهتماما بالغا بنقد تحقيق جواد الطاهر لديوان الطغرائي، بينما لم تنل طبعة الجوائب هذا القدر من الاهتمام، ربما لأن نسخة الطاهر هي الأقرب إلى ديوان الطغرائي من الجوائب، وربما بسبب المآخذ التي أخذت على الأخيرة وما اعتراها من نقص أو أخطاء. وعلى الرغم من استدراكات الجراخ على تحقيق الطاهر لكن هذا لا يغض من قيمة هذا التحقيق، فمستدركاته لا تعدو أن تكون أمورا بسيطة ربما غفل عنها الطاهر وهذا أمر وارد في أي عمل أدبي وغير أدبي، وفي الوقت نفسه يعد الجراخ أول من أشار إلى مثل هذه المستدركات على الديوان، فإليه يرجع الفضل في إماطة اللثام على أمور قد يسلم البعض بأنها قد طُوِيَت، وهذا هو إضافة اللاحق إلى السابق، التي تضمن للفن ديمومته واستمراره، وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه نظرية القراءة.

أما د. أحمد هادي زيدان فقد تناول (المرجعيات الثقافية) في ديوان الطغرائي بحث في المضامين الشعرية، [١] مقسما إياها ثلاثة أقسام: مرجعيات عقائدية، وهي: النص القرآني، والمعاني الدينية، والمعاني الأخلاقية، ومرجعيات اجتماعية: وتشتمل على مرجعيات اجتماعية خاصة، ومرجعيات ثقافية عامة، ومرجعيات طبيعية وتشمل مرجعيات طبيعية حية، ومرجعيات طبيعية صامتة، وفي نهاية البحث أكد الباحث وجود مرجعيات أخرى لا تقل عن المرجعيات التي ذكرها تحتاج إلى دراسة أشمل وأعم، وإلى بحث أعمق، وقريب من ذلك دراسة عبد الرحمن أحمد أبو سلامة (التناص في شعر الطغرائي).

وجاء ذكر الطغرائي في ثنايا كتب الأدب، فقد ذكر جرجي زيدان [٢] الطغرائي ضمن شعراء العراق والجزيرة، بدأ بتقديم ترجمة له وذكر وفاته سنة ٥١٣ هـ، وأنه مازال يرتقي حتى وزر للسلطان مسعود السلجوقي بالموصل، وكان نابغة عصره في النظم والنثر، وله ديوان شعر كبير أكثره في مدح السلطان سعيد بن ملك شاه ونظام الملك وغيرهما، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وبرلين، والمتحف البريطاني وبطرسبورج وطبع في الأستانة ١٣٠٠. واشتهر الطغرائي بقصيدته المعروفة بلامية العجم.. وهي مشهورة وقد طبعت مرارا وشرحها وشطَّرها كثيرون، وترجمها (بوكوك) المستشرق إلى اللاتينية وطبعها مع تعليقات في اكسونيا سنة ١٦٦١ وترجمها إلى اللاتينية أيضا (جولي) وطبعت سنة ١٧٠٧، وللطغرائي مؤلفات في الكيمياء القديمة منها نسخ في مكاتب أوربا لا فائدة من ذكرها.

وورد ذكر الطغرائي عند أحمد حسن الزيات في الفصل الخامس ضمن الشعراء المولدين في بغداد، تحدث في البداية عن نشأته وحياته، ثم تحدث عن شعره ووصفه بقوله: " شعر الطغرائي عامر الأبيات، متين القافية، مختار اللفظ، يغلب فيه الفخر والحكمة، ونثره من طبقة شعره في إحكام الصنعة ورصانة الأسلوب، وله ديوان شعر

---

١ _ المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م، ص ١٥٥: ص ١٦٨.

٢ _ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال / القاهرة، ١٩١٣ م، ج ٣، ص ٢٣.

كبير أكثره في مدح السلطان سعيد بن ملك شاه ونظام الملك. وخير ما فيه قصيدته اللامية المشهورة بلامية العجم، وهي من عيون الشعر ومختاره. قالها ببغداد يندب الزمان ويشكو الإخوان أثناء عطلة له من العمل. وقد أفردها العلماء بالشروح ما بين كبير وصغير". [1] ثم ذكر نماذج من اللامية، ومقطوعة قالها عندما رزق مولدا على كبر، وأخرى في الفخر.

أما فروخ فقد قام بالتعريف بالطغرائي ومولده ووفاته، مطلقا حكما نقديا عليه، فيقول: "أنه كان أديبا بليغا وشاعرا مجيدا وناثرا مترسلا وعالما بالعربية وبالعلوم الطبيعية خبيرا بصناعة الكيمياء القديمة" [2]، ثم أطلق حكما نقديا على شعره واصفا إياه بقوله: "وشعرُ الطغرائي متين يغلب عليه النَفَس القديم أحيانا، ثم هو سهلٌ عذب، أما فنونه البارزة فهي الحماسة والفخر والعتاب والنسيب والغزل. وكان الطغرائي كثير الشكوى في شعره حتى قلت مبالاته بالدهر وحوادثه، غير أنه كان يَحُثُّ على مداراة الناس". [3]

وتخالف الباحثة د. فروخ الرأي فكيف يداري الطغرائي همه وأحزانه عن الناس وهو الصارخ في اللامية وغيرها؟؟؟

ثم ذكر آثاره بأنه خلف ديوانا شعريا كبيرا " فيه القصيدة اللامية التي تداولها الرواة وتناقلتْها الألسنة، وقد سماها لامية العجم معارضة للامية العرب للشنفرى، وقد عُني بها

١_ تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر/ القاهرة، (د.ت). ٢٨٧: ص ٢٨٩.

٢_ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ٤٠٠ هـ_ ٩٢٣ هـ، ١٠٠٩ م_ ١٥١٧ م (في المشرق)، دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩ م، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ م، الجزء الثالث، ص ٢٣٢.

٣_ نفسه، الصفحة نفسها.

جماعـة مـن الأدبـاء فعارضـوها وشـرحوها وشـطَّروها وخمسـوها، وللطغرائـي عـدد مـن الآثار في الكيمياء". [١]

واختتم فروخ حديثه عن الطغرائي بإيراد نموذجين من أشعاره، النموذج الأول من اللامية، والآخر قصيدة غزلية كان من أوائل من أشار إلى الجانب القصصي ف شعر الطغرائي، ووصف قصيدته الغزلية هذه بأنها من بارع غزله القصصي.

أما د. شوقي ضيف [٢] فقد ذكر الطغرائي في القسم الثالث ضمن شعراء إيران، ومن ضمن شعراء المديح، ذكر نسبه ولقبه ومولده بأصبهان سنة ٤٥٣ هـ لأسرة عربية تنتسب إلى أبي الأسود الدؤلي، مشيرا إلى أننا لا نعرف شيئا واضحا عن نشأته، لكن ثقافته الأدبية والعلمية تدل على أنه اختلف إلى دور العلم وحلقات العلماء، فتثقف بثقافة عصره، ونبغ في الشعر منذ صغره، ووفد على الرؤساء ومدحهم، ومن أوائل من مدحهم نظام الملك، مشيدا به وببطولاته وانتصارات جيوشه في الشرق والغرب، وذكر د. شوقي ضيف نموذجا من تلك المدائح واصفا إياها بالبديعة: [٣]

خَمِيسٌ أقاصي الشرق تُرْزِمُ تحته وترتَجُّ منه أُخْرياتُ المغـاربِ

يَلُفُّهُمُ بالرُّعــب قبـل طِرادهِـــمْ ويهزمهم بالكتْب قبلَ الكتائبَ

ثم ذكر د. ضيف وفاة زوجة الطغرائي الجميلة تاركة له طفلا رضيعا، فرثاها رثاء يفيض منه الحزن المرير، ثم تحدث عن صلته بالسلطان محمد بن ملكشاه وكيف توثقت حتى أصبح في عهده نائبا في ديوان الطغراء، وله فيه مدائح يتحدث عن جيوشه ووقائعها مع الروم وكيف كانت تلقي الفزع في قلوبهم، ويتولى السميرمي الوزارة ويتوفى

١_ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي: ص ٢٣٢: ص ٢٣٣.

٢_ تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزيرة العربية_ العراق_ إيران، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م، ص ٥٨٢: ص ٥٨٥.

٣_ الديون: قافية الباء، ص ٥١. وفي الديوان: يفُلُّهُمُ بالرَّوْعِ قبلَ طِرادِهِمْ ويَهزِمهُمْ بالكُتْبِ قبلَ الكتائبِ

السلطان محمد ويخلفه ابنه محمود، وتفسد العلاقة بين الطغرائي والوزير، ويرحل إلى بغداد وينبو به المقام فيذم في بائية مقامه في العراق، في قصيدة مطلعها:

مللتُ ثَوائي بالعراق وملَّني رفاقي وكانوا بالعراقِ طِرابا

وفي هذه الأثناء أنشد الطغرائي لاميته، ويذكر د. ضيف أنها اشتهرت خطأ باسم لامية العجم، فقائلها عربي، وليس فيها أي تعصب للعجم ضد العرب، ولعله بذلك يرد على من زعم أن فيها تعصب ضد العرب، كما يرى أن تسميتها ربما يرجع إلى أن قائلها كان يعيش في بلاد العجم، كما يذكر أن هذه اللامية نالت قدرا كبيرا من الشهرة، وشرحها القدماء وعدَّ شرح الصفدي أهم شروحها، وموضوعها شكوى الزمان وأهله، شكوى لا تتكسر فيها نفسه، بل يظل له طموحه وتظل له فضائله التي يفخر بها، ثم ذكر نماذج من هذه اللامية. [1]

ويتعجب شوقي ضيف _والباحثة توافقه في ذلك_ من اتصال الطغرائي بالسلاجقة مرة أخرى، إذ قصد إمارة السلطان مسعود بالموصل سنة ٥١٣ هـ ويعينه وزيرا له، وتنشب الحرب بين الأخوين وتدور الدوائر على مسعود وجيشه ويؤسر الطغرائي ويقتل بتهمة الزندقة.

كما ذكر د. ضيف أن الطغرائي كان يدعو أحيانا لمجلس الشراب، وسماع المثالث والمثاني والانتشاء بالخمر في مباهج الربيع، وذكر بتردد الفخر في شعره وعدَّه أمرا طبيعيا، فهو يفتخر بنفسه وبثقافته الواسعة وإلمامه بمختلف العلوم، كما أشار إلى أن له أشعارًا في الكيمياء مما يمكن أن يندرج تحت باب الشعر التعليمي، وفي ديوانه غزليات كثيرة يستوحي فيها حجازيات الشريف الرضي ومهيار، وختم ضيف حديثه عن الطغرائي بموضوع الأخذ والاقتباس، مشيرا إلى محاولة الصفدي أن يرد في شرحه للامية معاني أبياتها بيتا بيتا إلى سابقيه.

---

١ _ ينظر: شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية_ العراق_ إيران، ص ٥٨٤.

هذا ويرى د. شوقي ضيف [١] أنه ليس في اللامية أي تعصب للعجم ضد العرب، ولعلها سمّيت بذلك لأن قائلها كان يعيش في بلاد العجم وجعلها على روىّ لامية العرب للشنفري وقد نالت شهرة واسعة منذ عصره وشرحها الأسلاف مرارا وأهم شروحها شرح الصفدي، وموضوعها الشكوى من الزمان وأهله، شكوى لا تتكسر فيها نفسه، بل يظل له طموحه وتظل له صلابته، وتظل له فضائله التي يفخر بها.

حتى أن د. شوقي ضيف يرى أن الطغرائي عندما صاغ لاميته "صاغها جميعا حكما وأمثالا على طريقة مزدوجة أبى العتاهية التي سماها ذات الأمثال، وضمنها أربعة آلاف مَثَل، ولامية الطغرائي لا تبلغ مبلغها في حشد آلاف من الأمثال، وليست من بحر الرجز وإنما هي من البسيط.. وقد أصبح تقليدا عند كثير من شعراء الشام وغيرهم أن يخصوا بعض قصائدهم برصف طائفة من الأمثال والحكم". [٢]

وحقا تعج لامية الطغرائي بالحكم والأمثال، لدرجة أن البعض صنفها ضمن هذا الغرض، لا ضمن شعر الشكوى، ولكن بعد مصاحبتي لشعر هذا الرجل عامان تقريبا، وقراءة لاميته مرات عديدة، أستطيع القول إن الطغرائي في لاميته لم يكن أبدا مقلدا لأبي العتاهية أو غيره، بل جاءت حكمه وأمثاله ثمرة لخبراته وتجاربه في الحياة، التي ذاق فيها ظلما وعاني فيها غربة أهل ومكان، فجاءت قصيدته هذه لتعبر عن حاله هو، هو ولا أحد غيره، وليس أدل على ذلك من تحول بعض أبياتها لحكم وأمثال.

وقد تناول شوقي الطغرائي من زوايا متعددة، سواء ما يتعلق بجوانب شخصيته ومولده ونشأته، متوقفا عند الكثير من منعطفات حياته، وسواء ما يتعلق بمنتوجه الأدبي، مشيرا إلى مدى إعجاب السابقين بالطغرائي ولاميته ومعارضة الكثيرين لها قديما وحديثا، مشيرا إلى أمكانية رد أبيات اللامية إلى أقوال سابقة وترى الباحثة في ذلك إجحافا كبيرا وظلما واقعا للامية وصاحبها.

١_ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات: الجزيرة العربية_ العراق_ إيران، ص ٥٨٥.

٢_ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات: الشام، دار المعارف_ مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠ م، ص ١٦٣.

ويذهب خلوصي مذهب نيكلسون، فيقول: "إن روح الحماسة ظاهرة في كلا الشاعرين، ولكن بشكل جد مختلف، فالشنفرى يصف رجلا ذا طبيعة بطولية والطغرائي يتلفع بفضيلته ويستخلص المغازي الخلقية كهوراسٍ مسلم؛ على أن الصفدي يقول في شرحه لقصيدة الطغرائي (وأنا أنقل من نسخة خطية في حوزتي) "سميت بلامية العجم على سبيل مقارنتها مع لامية العرب لأنها تشبه الأخيرة بحكمها ومواعظها".. كما ذكر خلوصي أن للامية الطغرائي ترجمتان لاتينيتان إحداهما لبوكوك (١٦٦١) والأخرى لجولي (١٧٠٧). [١]

وهكذا ورد عند خلوصي ترجمة أخرى للامية الطغرائي إلى اللاتينية، وهي ترجمة جولي، وهذا يعني بلا شك أنه ربما وجدت ترجمات أخرى لهذه القصيدة التي كانت محل احتمام وتقدير لما تقع عليها أيدينا بعد، مما يجعل الدرس دائما مفتوحا للإضافات والنقد والتحليل، وهو من أهم مبادئ نظرية القراءة، التي تجعل الدرس مفتوحا دوما لتقديم قراءات جديدة إضافة وحذفا، تحليلا ونقدا وشرحا.

بينما يرى السيد أحمد عمارة [٢] أن الصراع الأدبي بين العرب والعجم هو الذي كان وراء إنشاد الطغرائي لقصيدته، فإذا كانت قصيدة الشنفرى مفخرة للعرب فلتكن قصيدة الطغرائي مجال فخر للعجم كذلك، ويزعم أن الطغرائي تلفت إلى قصيدة الشنفرى وحاول أن يحاكيه فيها سواء في الشكل أو في المضمون حيث اختار الطغرائي لقصيدته القالب الموسيقي الذي اختاره الشنفرى مستخدما كذلك حرف الروي الذي بنى عليه الشنفرى قصديته، كما احتذى الطغرائي في قصيدته الجو النفسي الذي سيطر على لامية العرب وهو هجر الناس والاعتزام على البعد عنهم، وأخذ في سوق الأدلة على ذلك.

١_ نكلسن: تاريخ الأدب العباسي، حاشية المترجم رقم ١، ص ١٠٠، وحاشية رقم ٢ ص ١١١.

٢_ ينظر: دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، مكتبة المتنبي/ الدمام، ٢٠٠٣ م، ص ٦٦.

وكان مجال المنافسة والفخر بالنسبة للعرب في قدرتهم على نظم الشعر واتخاذه وسيلة للتعبير عن كل شأن من شئون الحياة، وبادلهم العجم فخرا بفخر.. وإذا كان للعرب ماض عريق وتاريخ مشرف وأدب يعتزون به، فقد حاول العجم أن يتلمسوا أسباب القوة في تاريخهم ويبرزوا ما فيه من مواقف مشرفة يحاولون فيها التفوق على العرب، وكانت بداية هذا التنافس في العصر الأموي الذي بدا بصورة خافتة؛ لخوفهم من بطش الخلفاء، إذ كانت الدولة عربية من الطراز الأول، ومع العصر العباسي ظهر ما عرف بالحركة الشعوبية التي تمثل الصراع والتنافس بين الشعب العربي والعنصر الفارسي إلى أن جاء القرن الخامس الهجري حين أنشأ الحسين بن علي الطغرائي قصيدته اللامية وسماها لامية العجم، فإنشاد الطغرائي للاميته هذه إنما يوحي بمدى الصراع والتنافس الذي كان بين العرب والعجم آنذاك. (١)

والغريب في الأمر أن عمارة يرى أنه لم يحاول أحد من النقاد سواء أكان من العرب أم من العجم المستشرقين أن يقارن بين القصيدتين فبينهما بون شاسع بحيث لا تصلح المقارنة بينهما، وإذا جاز لأحد أن يقارن بينهما فإنما يكون ذلك من باب المقارنة بين السيف والعصا.

وهناك متلقٍ مصنف وهو الذي يقرأ النص بإيجابية، عارضا مميزاته وعيوبه، وهناك متلقٍ جائر يقرأ النص قراءة المتصيد للأخطاء فتأتي قراءته قراءة سلبية دائما، لا تتناول إلا المآخذ، ولا تذكر إلا المسالب والعثرات، من منطلق أن النص "يمثل مجهودا نفسيا وفكريا كبيرا". (٢)

١_ السيد أحمد عمارة: دراسة في نصوص العصر الجاهلي، ص ٦٥.

٢_د. عبد الله الغذامي: تشريح النص، المركز الثقافي العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ م، ص ١٩.

فالذات المتلقية "ليست أفعالا تحاور النص الذي تقاربه فحسب، بل هي أفعال تقرأ منظومة كاملة يؤسس عليها الخطاب المقروء، مما يجعل عملية التلقي مؤسسة على النص نفسه، مركوزة في عالمه، وبهذا تكون حوارا مع النص، وقراءة له من خارجه، من جهة، وصدورا عنه، واستلهاما لروحه من الداخل، من جهة أخرى".[١]

فضلا عن وجود دراسات متعددة تناولت التناص عند الطغرائي، سواء التناص بأشكاله المختلفة كدراسة عبد الرحمن أحمد إبراهيم أبو سلامة المعنونة ب: "التناص في شعر الطغرائي"، [٢] تناول فيها الباحث التناص في شعر الطغرائي بشكل عام مقسما إياه ثلاثة أقسام: تناص ديني، وتناص تاريخي، وتناص أدبي، مقسما التناص الديني قسمين تناص مع القرآن الكريم، وتناص مع الحديث الشريف، أما التناص التاريخي فقسمه إلى قسمين أيضا، تناص مع الأخبار التاريخية، وتناص مع الشخصيات التاريخية، وأخيرا التناص الأدبي وقسمه أربعة أقسام: التناص مع بعض نماذج الشعر الجاهلي، التناص مع بعض نماذج الشعر الأموي، والتناص مع بعض نماذج الشعر العباسي، ثم التناص مع المثل، وكان هذا في محاولة منه للكشف عن التشكيل الدلالي من جهة، ومدى إدراك الشاعر لأهمية الموروث من جهة أخرى.

بينما جاءت دراسة أحمد عبد الكريم الملقى لتتناول التناص القرآني في شعر الطغرائي، [٣] يؤكد الباحث في دراسته هذه أن التناص يشكل ملمحا أسلوبيا بارزا في شعر الطغرائي، فهو الملم المطلع على ثقافة عصره المتنوعة، وخاصة التناص القرآني واستطاع أن يوظفه في شعره بكثرة وبطرائق متنوعة، وقد استطاع الملقى أن يكشف عن

---

١ _ سرحان جفات سلمان: تلقي شعر الطغرائي دراسة في "الغيث المسجم في شرح لامية العجم"، المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م، ص ١٣٦.

٢ _ راجع: عبد الرحمن أبو سلامة: التناص في شعر الطغرائي، دار زهدي للنشر، الأردن، ٢٠١٥ م.

٣ _ أحمد عبد الكريم محمد الملقي: التناص القرآني في شعر الطغرائي، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ الأردن، المجلد الخامس، عدد ٢، ٢٠١٨ م.

آليات استدعاء النصوص القرآنية في شعر الطغرائي، وبراعته في توظيفها، فللتناص أهمية كبرى بوصفه استراتيجية نقدية مستجدة في إعادة قراءة تراثنا الأدبي للكشف عن وجوه الإبداع فيه، ومن ثم تقديم قراءات مغايرة للقراءات النقدية التقليدية المتعارف عليها، فهو آلية جديدة من ضمن الآليات المستحدثة لإعادة النظر في تراثنا العربي بصفة عامة والأدبي من بصفة خاصة.

ثم أخذ الباحث في سوق الأمثلة الشعرية التي تناصت مع آيات القرآن الكريم، وقد خلص في النهاية إلى أن الطغرائي أفاد من القرآن الكريم في تشكيل معانيه الشعرية، موظفا إياها توظيفا فنيا رائعا، أكسبها أبعادا جمالية أسهمت في إعادة قراءة المعاني القرآنية بطرائق تناصية متعددة، إذ لم يقف شاعرنا عند حدود الاستدعاء السكوني الجام، بل كان تلاقحه مع نصوص القرآن الكريم تلاقحا إيجابيا، من ذلك قول الطغرائي:[١]

وكم مرَّ بي من حادثٍ قلتُ عندَه ألا ليتني كنتُ من قبله نسيًا منسيا

فيقول أحمد الملقى معلقا على هذا البيت: " تناص الطغرائي مع قوله تعالى: (فأجاءها المخاض إلى جذعِ النخلةِ فقالت يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا وكنتُ نسيا منسيا) [٢]، فقد اقتبس ما قلته السيدة العذراء _عليها السلام_ بعد أن ولدت السيد المسيح عليه السلام، فتمنت الموت خوفا من الفضيحة، وبالنظر إلى توظيف الطغرائي لهذا القول نجده يجري عليه تغييرات لغوية توافق المقصود من كلامه، بعد حذف الموت بوصفه ما تمنته السيدة العذراء بدءا، فالطغرائي يأخذ من القول المقتبس ما يتوافق مع البناء الشعري، لا سيما القافية فيه مع عدم إنكار كونه ق تمنى الموت من باب الإشارة إلى الآية بمجملها عبر ما اقتبس منها، إلا ان ما يهم هنا دلالة تمني النسيان أو الموت _ضمنيا_ من خوف من الفضيحة _كما هي حال السيدة العذراء_ إلى ضيق ذرع

١_ الديوان: قافية الياء، ص ٤١٣.

٢_ سورة مريم: الآية ٢٣.

بمصاعب الحياة.. فتتمثل قيمة التناص هنا في التماهي مع السيد العذراء عندا ولدت وما عانته من حزن شديد". (١)

وأمثال هذه الدراسات تدفع دون شك تهمة الإلحاد عن هذا الرجل، الذي وصم بها وقتل بسببها، إذ يشكل التراث الديني بصفة عامة والقرآني بصفة خاصة ملمحا أسلوبيا بارزا في شعر الطغرائي، فقد نجح شاعرنا في استثمار نصوص القرآن في شعره بشكل واضح، استثمارا حيا خلق من خلاله دلالات ومعانٍ جديدة من خلال إعادة توظيف نصوص القرآن الكريم في سياقات جديدة، وهذا دليل على سعة ثقافته الدينية، وإلمامه بنصوص القرآن الكريم.

كما حظي شعر الطغرائي بدراسات تناصية، حظي أيضا بدراسات لغوية وصوتية ودلالية وبلاغية، فها هي دراسة ميثاق حسوني سلطان بعنوان: "دراسة صوتية ودلالية في شعر الطغرائي"، (٢) واشتملت دراسته على عدة مباحث، منها: المماثلة، ومناسبة الصوت للمعنى، فبعد تعريفه للماثلة (٣) ذكر أنواعا منها وردت في القصيدة، كالإدغام، والإعلال، والإبدال، والإقلاب، فيقول مثلا في قول الطغرائي:

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخُلْفِ بينَ القولِ والعملِ

١_ التناص القرآني في شعر الطغرائي، ص ٣٨٠.

٢_ ميثاق حسوني سلطان: دراسة صوتية ودلالية في شعر الطغرائي، مجلة الآداب_ العراق، العدد ١٠١، ص ٣٢٤_ ص ٣٤٧.

وانظر: عبد الحفيظ مصطفى عبد الهادي: التفاعل النصي في شعر الطغرائي، مجلة كلية الآداب_ جامعة حلوان، العدد ٢٧، ٢٠١٠ م، ص١٣٣_ ص ٢١٠.

٣_ هي التعديلاتُ التكييفيةُ للصوت بسببِ مجاورته لأصوات أخرى، وتَتكون عمليةُ التغييرِ في صوت ما في السلسَلة الكلامية بِتماثُلِ الأصوات المَتجاورة وَتحدثُ المماثلةُ عن طريق تأثُّرِ الأصوات اللغوية بعضها بِبعضٍ، ويطَلقُ على هذا التأثُّرِ تسمية: الانسجامِ الصوتي بين أصوات اللغة، فَكُلَّما اقَترب صوت من صوت آخر، اقتراب كيفية أو مخرجٍ، حدَثت المماثَلةُ.

" أورد الشاعر لفظتينِ قَد حدث فيهما إعلالٌ هما غاض، وفاض، فالفعلُ غاض أصلُه غيض تَحركت الياء وانْفَتح ما قبَلها فَقُلبت الياء أَلِفًا، ويسمى هذا الإعلالُ إعلالاً بِالَقلبِ.. أما فاض فأصلُه فَيض تَحركت الياء وانْفَتح ما قبَلها فَقُبلت الياء ألفًا، وفاض من الفيضِ، أي :كَثُر". (١)

وجاءت دراسة وليد عبد النبي لتدرس (الاغتراب الاجتماعي في شعر الطغرائي)، فالظروف السياسية القلقة في فترة الحكم السلجوقي والتنازع على الحكم وما تبعه من تنازغ آخر على الوزارة أدت إلى ظهور نوع من أنواع الاغتراب وهو " الاغتراب الاجتماعي، وقد تمثلت هذه الغربة عند الطغرائي في غربة الناس، فالظروف السياسية الحرجة التي مرت بها الدولة السلجوقية في تلك الحقبة الزمنية كان لها عظيم الأثر على شخصية الشاعر، فقد أجبر شاعرنا على الرحيل الذي كان من نتائجه التعرف على مجتمعات مختلفة، وأناس مختلفين فى عاداتهم وتقاليدهم ، كما يختلفون في غدرهم ووفائهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تلك المذهبية المتعادية فالدولة السلجوقية " سنية " والمنازعات الدينية كانت كثيرة بين الفرق الإسلامية المختلفة ، وقد أثرت هذه الحالة فى حياة الناس الدينية ، فراج التعصب ، وانتشرت الخرافات وازداد الميل إلى العزلة والانزواء ، والاعتكاف، فيقول مثلا في قول الطغرائي:

قالوا صبرتَ على المكروهِ من نَفَرٍ ... لو شئتَ حكَّمْتَ فيهمْ كفَّ مُنتَصِرِ

تعدو عليكَ رجـالٌ لو هممتَ بهِمْ ... صاروا فرائسَ بين النـابِ والظُّفُرِ

تُغْضِي إلى أنْ يقـالَ العجزُ ألزَمهُ ... ذُلّاً وتصبرُ حتـــى لاتَ مصطَبرِ

حتامَ تحلِم منهـــم غيـرَ منتقِمٍ ... والحِلْمُ ينزعُ أحياناً إلـى الخَـوَرِ

وهَبْهُمُ الماءَ مـوّاراً على حَجَـــرٍ ... والماءُ ينقرُ في صَلْدٍ من الحجـرِ

---

١ _ ميثاق حسوني سلطان: ص ٣٢٨.

"وواضح أن اللوم والإنكار هنا هما من النفس للنفس، فالشعور بخيبة الأمل يكون عظيماً لم يتفهمه المجتمع الخطر، قوى الأثر لدى من يتحسسون في أنفسهم تميزا – شأناً أو تفردا خلف فى النفس حيرة لا تنفك عنها ويترك فيها ندوباً الطغرائى – على الأيام لا يندملُ إذ ي يره أن شاعرنا هنا يستخدم أسلوباً شعرياً، يصور تماماً أثرها ومما يترجم هذا الذي نرمى إلى تقر واضطراباً نفسياً كان من وراءه هذه التساؤلات الكثيرة ولعلنا إذا وقفنا ونظرنا فى التساؤل الوارد فى قوله (حتام تحلم ؟!) يجعلنا نقف على بعض هذا التململ لأنه يرسم الشاعر وقد فقد – بأثر الشعور بخيبة الأمل – القدرة على التحمل وقد يكون إعلان عن الحسرة والضيف والتأزم، وهو يشي لنا بحالة الاضطراب والتململ، فلقد أبان من طرف خفي أن نفسه لم تعد تطيق وتحتمل هذا العداء وقد اتخذ منه مطية لاستخدام الحجج العقلية فى الرد على المنتقدين وهو ما سوف يظهره فى المقطع الثاني. والذى تظهر فيه فلسفة الطغرائى وحكمته فى استخدامه الحجج العقلية والبراهين كوسيلة لتوصيل الفكرة واقناع المتلقي بحلمه واحتماله من الأعداء والحساد فهم كالكلاب التي تعوى والقافلة تسير لا تأثير لهم عليه فالحسد كالنار التى تأكل نفسها وهو يربأ بنفسه أن يدخل في تراشحات لا تؤدى إلا إلى الهلاك كالنار المنطفئة من الماء فكلاهما فان.."[1].

حقا عاش الطغرائي غربة عانى فيها كثيرا، غربة عن الوطن والأهل والسكن، فهو الغريب عن تلك البلاد، الباحث عن البدل للأهل والوطن فلم يجده، أحس شاعرنا بغربة لذا كان بحاجة إلى إحساس مضاعف بالأمان، هذا الأمان الذي افتقده ولم يجده، مفتقدا التضامن والانصهار مع الآخرين لنفوسهم المريضة بمرض الحسد والنميمة، فورد في كثير من شعره هذا الإحساس بانعدام الأمان والسكينة، ولهج لسانه بسمفونيات حزينة يشكو فيها معاناته وغربته، وتعرضه للظلم والقهر بسبب الوشاية به وحقد وحسد

١ _ وليد سليم عبد الرحمن عبد النبي: الاغتراب الاجتماعي في شعر الطغرائي، مجلة كلية الآداب/ جامعة بورسعيد، العدد التاسع، يناير ٢٠١٧ م، ص ٣١١.

الكارهين لـه ولنجاحـه، من ثم يمكن القول أن الطغرائـي عـاش غربتين غربـة مكـان (وطـن) وغربـة نـاس (أهـل)، فليس بعجيب إذا أن يحقد جماعـة علـى الطغرائـي فـي زمانه، كما أنه ليس من عجيب أن يقول فيهم هذا وأكثر.

أما ما يخص الدراسات الحديثة حول اللامية فهي كثيرة ومتنوعة، منها دراسات تحليلية نقدية، ودراسات نفسية، ودراسات اجتماعية، ودراسات نصية، ودراسات لغوية، ودراسات نحوية، ودراسات صوتية ودلالية، ودراسات بلاغية، ودراسات أسلوبية.

وقد آثرت الباحثة التتبع التاريخي لهذه الدراسات، وإن كانت تكسرها مضطرة في البدء بالحديث عن دراسة جواد علي الطاهر، لكونه يتصدر قائمة الأدباء والنقاد الذين اهتموا بشعر الطغرائي ولاميته، وله فيها كتبا عدة ذكرناها في معرض الحديث عن شعر الطغرائي في الصفحات السابقة، فله كتاب بعنوان: "لامية الطغرائي" متبعا في دراسته المنهج التحليلي، كما أفصح هو بذلك في مقدمته: "وهانذا أحاول أن أقدم هذه الدراسة في التحقيق والتحليل". [1] فهو إذا كان أديبا بارعا فإنه محقق متميز من الطراز الأول.

والحقيقة أن هذا الكتاب طبع طبعة مستقلة بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٢ م، ثم نشر نصا بعدها بعام ضمن كتابه: الطغرائي _حياته_ شعره_ لاميته)، والذي نشر من خلال مكتبة النهضة ببغداد، سنة ١٩٦٣.

وتعد دراسة ولدان فائق المعنونة ب "ترشيح القلم في لامية العجم" تعد من أوائل الدراسات التي تناولت اللامية بالشرح والدراسة، ويعد أحد الشُّروح المهمّة لقصيدة الطغرائي، إذ نظر في الشروح السابقة فرأى أن "بعض شروحها مطول كأنه موضوع إلى غيرها لما حواه من الشواهد والأدبيات، وبعضها مشتغل بالقشر عن اللب وفاته دقيق العبارات، فشرحتها.. بلا تطويل ممل ولا تقصير مخل، ملتزما إيضاح اللغة أولا

١_ علي جواد الطاهر: لامية الطغرائي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢ م، المقدمة، ص ١.

مفصلا للإعراب ثانيا ملخصا منهما المعنى على الإتقان مومئا فيما في البيت من النصيحة للإخوان". [١]

من ثم جاء شرح فائق شرحا متوسط الحجم يوضِّح مراده، فبعد مقدمة قصيرة عرَّف فيها الطغرائي أخذ في إيراد أبيات القصيدة بيتا بيتا، ثم قام بتحليل وشرح مفردات ومعاني القصيدة، ثم إعراب البيت إعرابا مفصلا، وأخيرا يذكر معنى البيت، فيقول مثلا في قول الطغرائي في البيت الأول:

أصالةُ الرأيِ صانَتْنِي عن الخَطَلِ وحليةُ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ

" (اللغة) (الأصالة) على وزن كرامة يقال أصل الشي أصالة إذا صار ذا أصل أو ثبت ورسخ أصله، ويقال أصل الرأي إذا جاد ورجل أصيل الرأي أي محكمه، (الرأي) بفتح فسكون مهموز ناقص من رأى رأيا يجمع على آراء وهو التفكر في مبادئ الأمور والنظر في عواقبها وعلم ما يؤول إليه من الخطأ والصواب.. (صانتني) تقول صنت الشيء أجوف واوي من الباب الأول صونا وصيانا وصيانة إذا حفظت شيئا فهو مصون أي محفوظ، (الخطل) بفتحتين بمعنى المنطق الفاسد يقال خطل الرجل خطلا أي تكلم بكلام فاسد كثير..

(الإعراب) (أصالة) مرفوع لفظا مبتدأ مضاف إلى ما بعده (صانتني) ماض غائبة وفاعله مستتر هي راجع إلى أصالة (والنون) وقاية لأنها تقي الفعل عن الكسرة..

(المعنى) رأيي الأصيل يصونني ويحفظني عن الفساد في القول والعمل، وحلية علي تزينني عند العطل أي عند التعري عن أعراض الدنيا وزخرفها..". [٢]

يتضح من المثال السابق أن شرح ولدان فائق للامية العجم جاء سلسلا يسهل على القارئ فهمه، يذكر المعنى مباشرة دون تطويل ممل ولا اختصار مخل، فيستطيع القارئ

١_ ترشيح القلم في لامية العجم، مطبعة عامرة_ القسطنطينية، ١٣٠٩ هـ، ص ٢: ص ٣.
٢_ ترشيح القلم: ص ٨: ص ٩.

العـادي أن يفهـم المقصـود مـن البيـت دون عنـاء ومشـقة، كمـا يسـتطيع أيضـا فهـم الإعراب والمعنى، ويبدو أن سبب هذا أن كان شرح اللامية جاء من خلال طلب أحد طلابه أن يشرحها له، فيبدو أن فائق راعى هذا الأمر كثيرا، فجاء شرحه بسيطا سهلا.

وهنـاك دراسـة أخـرى لمحمـد علـيّ المنيـاوي بعنـوان: "تحفـة الرائـي للاميـة الطغرائـي"، تنـاول المنيـاوي فـي كتابـه " قصـيدة الطغرائـي الموسـومة بلاميـة العجـم مبينـا فـي البدايـة فضلها وجودة سبكها، وكيف أصبحت على حد وصفه: "في مغارس الأدب روضا يانع الزهر ومنتزها ناضرا يبتهج بمحاسنه الفكر، جديرة بتوجه الأنظار إليها والاعتماد في تدريب طلاب الأدب عليها" [1] مشيرا إلى كثرة شراحها_ ولم يذكر منهم أحدا_ مؤكدا على أنهم رغم كثرتهم لم يستطيعوا الكشف عن غطائها، فمنهم من عمد إلى التطويل الممل ومنهم من نهج طريق الاختصار المخل.

فيقول المنياوي مثلا في شرحه للبيت الأول من اللامية:

أصالةُ الرأيِ صانَتْنِي عن الخَطَلِ وحليةُ الفضلِ زانتني لدى العَطَلِ

" (اللغـة) أصـالة كسـحابة مصـدر أصـل الـرأي ككـرم جـاد والـرأي كنهـر مصـدر رأيـت الشـيء كفتح فكرت فيه مبدأ وغاية لأعلم خطأه وصوابه، وصنت الشي كقال حفظته، والخطل كقمر مصدر خطل الرجل في قوله وفعله كفرح أخطأ فيه، وحلية كسدرة الصفة وفعلها..

(المعنى) جودة فكري أي عقلي حفظتني من الخطأ في قولي وفعلي، وصفة زيادتي في العلم والأدب حسنتني، عند الخلو من الإمارة يفتخر بجودة عقله وفضل علمه وأدبه، ومنه يؤخذ أنه لا ينبغي للمرء أن يعتمد في فخره وشرفه على سوى ذلك، لأنه هو الشرف الدائم الذي يكون به إنسانا.

١_ تحفة الرائي للامية الطغرائي، نظارة المعارف العمومية، الطبعة الثالثة، المطبعة الأميرية بمصر، ١٣٤٢ هـ_ ١٩٠٦ م، المقدمة ص ٣.

(الإعراب) أصالة مبتدأ والرأي مضاف إليه وصان فعل ماضي والتاء للتأنيث والفاعل هي يرجع لأصالة والجملة خبرها والنون للوقاية والياء مفعول به وعن الخطأ متعلق بصان، وإعراب الشطر الثاني كالأول غير أن الواو عاطفة ولدى ظرف متعلق بزان والعطل مضاف إليه.

(البيان) في البيت مجاز عقلي في إسناد صان إلى أصالة الرأي وعلاقته السببية، وكذا في إسناد زان إلى حلية الفضل، ومجاز مرسل في استعمال الرأي في العقل وعلاقته الآلية، واستعارة تصريحية أصلية في العطل حيث استعير للتجرد من الامرة بجامع مطلق الخلو.. كما أنه بمصراعيه السجيع المتوازي والتصريع في الخطل والعطل ولزوم ما لا يلزم في الطاء والجناس المضارع بين صان وزان وكذا بين الخطل والعطل، وهو من الكلام الجامع". [١]

وكان منهج المنياوي في دراسته إذا قائما على شرح غريب ألفاظ القصيدة كل بيت على حده، وبعد بيان المعنى يأتي بمشهور الأعاريب والمحسنات الأدبية، (اللغة _ المعنى_ الإعراب_ البيان)، وينتقل من بيت إلى بيت على نفس المنوال، وهذا كان ديدنه حتى نهاية القصيدة، من ثم يمكن القول إن منهج المنياوي في كتابه هذا هو منهج لغوي نحوي بلاغي. وهو قريب إلى حد كبير من منهج ولدان فائق، مضيفا عليه موضوعة البيان، التي كان التعقيد فيها واضحا.

كما قدم عبد المعين الملوحي [٢] دراسة تناول فيها نشر قصيدتين مشروحتين هما: لامية العرب للشنفرى، ولامية العجم للطغرائي، وقد اعتمد المؤلف في شرح القصيدة الأولى على كتاب "أعجب العجب في شرح لامية العرب" للزمخشري، واعتمد

١_ تحفة الرائي للامية الطغرائي: ص٩: ص ١٠.

٢_ عبد المعين الملوحي: اللاميتان: لامية العرب_ لامية العجم، من شروح الزمخشري_ الصفدي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي_ دمشق، ١٩٦٦ م.

في شرح القصيدة الأخرى على كتاب "الغيث المسجم في شرح لامية العجم" للصفدي، كما تناول الكتاب البحث في اللاميتين وعلاقتهما بالشاعرين والموازنة بينهما.

وبدأ المؤلف كتابه بالحديث عن الشنفرى (ت ٥١٠ هـ) وحياته وصفاته وموته ونسبه وطريقة عيشه التي "كانت تنحصر كلها بالسلب والنهب والغارات ليلا، والتلصص بخفة ورشاقة، حتى إذا خافوا الخيل تدركهم اتجهوا نحو الجبال بالعاصمة، والأودية الوعرة، والأدغال الموحشة فتغلغلوا فيها".[١] كما توقف عند معاناته وانتمائه إلى الصعاليك، هؤلاء الصعاليك الذين يتميزون في تاريخ الشعر العربي بمزايا ثلاث تكاد توجد فيهم جميعا "الثورة على الظلم وطلب الحرية، والشجاعة في طلب الحق حتى تبلغ حد التهور، والكرم في مشاركة الأرامل والفقراء والأيتام إلى حد إيثار الصعلوك الفقير أخاه القير بلقمة عيشه".[٢]

فما موقع الشنفرى من هؤلاء الصعاليك؟ هل كان مثلهم وطباعه كطباعهم؟ أم اختلف عنهم؟ وإذا اختلف عنهم فما أوجه الاختلاف؟

كان الشنفرى واحدا من هؤلاء الصعاليك الذين عانوا من ظلم مجتمعهم لهم من ناحية أو أخرى فهجروه، ولاذوا بالصحراء يحتمون فيها، فتميز بما تميزوا به، وسار على نفس النمط الذي ساروا عليه، إلا أن الملوحي يذهب إلى أن الشنفرى "كان أكثر منهم بطشا وعنفا وأقربهم إلى حياة (الذؤبان) وهكذا نجد الفرق الوحيد بينه وبين عروة بن الورد، أن عروة يمثل الجانب الإنساني في حركة الصعاليك، أما الشنفرى فيمثل الجانب الشيطاني فيها. ولا شك أن هذا الفرق يعود إلى أن الشنفرى لقي من اضطهاد الناس ومن عنت الحياة أكثر مما لقي عروة". [٣]

١_ الملوحي: المقدمة، د، هـ.

٢_ السابق: المقدمة، هـ.

٣_ نفسه: المقدمة، و.

وقد طرحت الباحثة هذا التساؤل ليس عبثا، وإنما للتعرف على حياة الشنفرى وكيف عنى، ولكن حتى تكتمل الصورة في الأذهان عند الموازنة بين ما عاناه الطغرائي وما قاساه الشنفرى، وماذا كان وجه الشبه بينهما، ومنه وجه الشبه بين لاميتيهما.

ثم تناول لامية العرب وكيف شكك بعض النقاد في نسبتها للشنفرى، كادعاء أحدهم أن هذه القصيدة منحولة، وأنها شعوبية وتسيء إلى العرب، لأنها تصفهم باللصوصية وقتل النساء والأطفال واكل التراب، فيرد الملوحي على هذا الادعاء بقوله: "فالقصيدة لا تصف العرب وإنما تصف فئة منهم هم الصعاليك وشاعرا منهم هو الشنفرى، وليس وصف هذه الفئة بالغزوات التي تستدعي بالضرورة قتل الرجال، وتأييم النساء، وتيتيم الأطفال، لا قتل النساء والأطفال، كما ورد في الاتهام، مقصورا على القصيدة اللامية وحدها بل إننا نجده في شعر الصعاليك كله.. وكذلك ليس في أكل التراب اتهام للعرب، وإنما يضطر إلى أكل التراب كل جائع..".[١]

وأخذ الملوحي كل ادعاء من هذه الادعاءات بالتفنيد والتحميص والرد، بالحجج والأدلة مؤكدا نسبتها للشنفرى لا لخلف أو لغيره، مؤكدا في النهاية أنها أثر من آثار الجاهلية عامة والصعاليك خاصة، فهي تصوير لحياة الصعاليك العرب تصويرا دقيقا، جامعة لخصائص شعرهم الفنية، وعن هذه الخصائص يقول: "إن هذه الخصائص الفنية والتصويرية التي لا يمكن يبلغها خلف أو غير خلف ممن لم يعان حياة الصعاليك، ولم يعرف جزيرة العرب وفيافيها، وما يعانيه هؤلاء المتشردون من فقر وضيق، إن تصوير اللامية لحياة الشنفرى وأمثال الشنفرى خير دليل على أنها له ولا يمكن أن تكون لغيره".[٢]

١_الملوحي: المقدمة، ز، ح.

٢_السابق: المقدمة، ي.

داعيا إلى نشرها لأنها تعلمنا مكارم الأخلاق كما روي عن عمر بن الخطاب من ناحية، وتطلعنا على حرمان وفقر عاشه أجدادنا كاد أن يودي بحياتهم، ومع هذا لم ينكسوا رؤوسهم بل ثاروا عليهما ثورة تمثل هذه اللامية وغيرها صدى مدويا لها.

ثم كشف الملوحي عن شخصية الشنفرى من خلال اللامية فهو ابن للقفار صديق الضواري، كما في قوله:(١)

ثَلاَثَةُ أصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

وهو عزيز النفس: (٢)

أُديمُ مِطَالَ الجُـــوعِ حتّى أُمِيتَـهُ وأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلا يُرَى لَـهُ عَلَـيَّ مِنَ الطَّـــوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

ثم قسم الملوحي لامية الشنفرى إلى اثني عشر قسما، أولها عتاب قومه مفضلا عليهم وحوش البر من ذئاب وضباع، ثم يفضل نفسه على الوحوش، مستغنيا عن الجميع بقلبه وسيفه وقوسه، مفتخرا بنفسه، صابرا على الجوع. (٣)

وما إن انتهى من حديثه عن الشنفرى حتى انتقل إلى الحديث عن الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أحد شارحي لامية العرب، ذاكرا مولده، وحياته، وصفاته، وشيوخه، وأهم مصنفاته، التي وصفها الملوحي بقوله: "إن ما خلفه الزمخشري من مصنفاته، لا غنية لطالب لغة العرب عن تدارسه كلما عرض له مشكل من مشاكلها، وكلها منسوجة أجمل نسج، مرتبة خير ترتيب، واضحة كل الإيضاح، ليست بالمطولة حتى يملها الطالب، ولا بالمختصرة حتى ينقطع دون بغيته". (٤)

---

١ _ الشنفرى، عمرو بن مالك: الديوان، جمعه وحققه وشرحه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م، ص ٦٠.

٢_نفسه: ص ٦٣.

٣_انظر: الملوحي: المقدمة: م.

٤_السابق: المقدمة، ع.

هكذا قدم الملوحي صورة واضحة للشنفرى ولاميته، حتى تكون في مقابل صورة الطغرائي ولاميته، كما وقف في عجالة على الزمخشري شارح لامية العرب، حتى يكون في مقابل الصفدي شارح لامية العجم، وهو عرض محدد شائق يهيئ ذهن القارئ لموازنة لتقبل الجزء الآخر من الصورة.

وبعد ذلك ينتقل للحديث عن الطغرائي ونسبه ومولده ووفاته، ثم ينتقل إلى الحديث عن لامية العجم ويصفها بأنها "نفثة شاعر عُزل من منصب يرى نفسه أسمى منه، فإذا هو عاطل، وإذا هو في بغداد غريب".[١] ، ثم يذكر تقسيم د. علي جواد طاهر لقصيدة لامية العجم التي أولع بها_ على حد وصف المؤلف_ إلى ستة أقسام، القسم الأول يفخر الطغرائي بأصالة رأيه وفضله ومجده، ثم يحدثنا الطغرائي عن رحلته وعدته لها وعن رفيقه في هذه الرحلة، ثم يدعو إلى المخاطرة وركوب الأهوال، ثم يصف ما بينه وبين السلطة الحاكمة في عصره من تفاوت، ويتساءل الملوحي هنا: "وأين كان الطغرائي من هذه الآراء قبل أن يعزل؟ لقد كان سجين طموحه ورهين أمانيه فلما عزل استيقظ وتحرر من أوهام السلطة والحكم". [٢]

وفي المقطعين الخامس والسادس يشكو الأصدقاء، وهو يعيش في عالم غادر، ودنيا فانية، ثم يقف الملوحي على الأسباب وراء تسمية لامية العجم بهذا الاسم، ثم يتناول الصفدي شارح لامية العجم واصفا إياه بأنه من نوابغ المؤلفين في الشام، وأخيرا يقابل بين القصيدتين عاقدا موازنة سريعة بينهما، ثم تناول كل قصيدة على حده، مكتفيا بذكر معاني المفردات بهامشه.

وعلى الرغم من الإيجابيات الكثيرة في دراسة الملوحي، وفي مقدمتها الوقوف على ظروف الشاعرين موضع الدراسة، والحالة النفسية التي عاشاها لإبداع هاتان

١_ الملوحي: المقدمة، ر.

٢_السابق: المقدمة، ش.

القصيدتان، إلا أنه أطال كثيرا في مقدمته التي بلغت ثمان وعشرون صفحة من إجمالي تسع وتسعون صفحة، فلم تكن إذا مقدمة بقدر ما كان يمكن عدها مبحثا قائما بذاته من أقسام الكتاب، ولا ندري لماذا قام الملوحي بذلك، كما كان ينبغي من البداية أن يذكر لماذا وقع اختياره لشرحي الزمخشري والصفدي دون غيرهما، وما الأسباب التي دفعته إلى ذلك.

وعندما جاء شارحا وموازنا جاءت الدراسة مفتقرة كثيرا إلى الجانب التحليلي، فكان من المتوقع أن يوازن الشاعر بين اللاميتين، ويقف وقفة مطولة على القصيدتين، شارحا ومحللا وناقدا، ولكنه اكتفي بذكر الخطوط الرئيسية للمقارنة، كما أفصح هو بنفسه عن ذلك.

وجدير بالذكر هنا أن لامية العجم لم يخفت بريق معارضتها في العصر الحديث، فكما عارضها القدماء عارضها أيضا الشعراء المعاصرين، فها هو أحمد الهاشمي يعارض لامية الطغرائي بقصيدة عدتها أربعة وستون بيتا، منها قوله: [1]

عليك بالصبرِ والإخلاص في العملِ	**ولازم الخير في حِل ومُرتحلِ**
وجانب الشر وأعلم أنَّ صاحبه	**لابد يجزاه في سهل وفي جبلِ**
واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا	**تركن إلى فشل في ساعة الوهلِ**
واصبرْ على مضض الأيام محتملاً	**ففيه قرع لباب النجح والأملِ**
لا تطلب العزَّ في دار ولدت بها	**فالعز عند رسيم الأينق الذللِ**
شمِّر وجِدَّ لأمرٍ أنت طالبه	**إذ لا تنال المعالي قط بالكسلِ**
وسادة العصر قد ألقوا مقالدهم	**إلى الطغاةِ شرار النماس والسفلِ**

١_السيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢ هـ): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة، الطبعة السابعة والعشرون، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م، ج ٢، ص ٤٤٥: ص ٤٤٨.

تحكموا في قضايا النـــاس واحتكموا وحكموا كل ذي جهل أخـــي خَبلِ

خذهـــا محبـــرة غيـــداء غانيـــــة أَتَتْ على عجلٍ كالقابس العَجِـلِ

جاءت من (الهاشمي) لا تبتغي مهرًا من خاطب لبنات النظم في عطلِ

وبمطالعة قصيدة الهاشمي وجدت الباحثة أنه كثيرا ما يضمن أعجاز لامية الطغرائي، فهو المعجب بها، فتمثل معانيها بما يلائم ذوق العصر الذي يعيش فيه، ففي قوله مثلا:

لا تطلب العز في دار ولدت بهـــا فالعـــز عند رسيم الأينق الذلل

مأخوذ من قول الطغرائي: [١]

يرضَى الذليلِ بخفضِ العيشِ يخفضُه والعِزُّ عندَ رسيـــمِ الأينُقِ الذُّلُلِ

وقوله:

وسادة العصر قد ألقـــوا مقالدهم إلى الطغاة شرار النماس والسفل

مأخوذ من قول الطغرائي: [٢]

ما كنتُ أُوثِرُ أن يمتدَّ بي زمني حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسِّفَلِ

ومن أشهر معارضات الشعراء المعاصرين للامية الطغرائي قصيدة البارودي، وعدتها سبعون بيتا، قالها يذم سيرة الحكام، ويحض الناس على طلب العدل في الأحكام، وذلك في عهد الخديوي إسماعيل، ومطلعها:[٣]

١_ ديوان الطغرائي: ص ٣٠٥.

٢_ نفسه: ص ٣٠٧.

٣_ محمود سامي البارودي: الديوان، تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة/ بيروت، ١٩٩٨ م، ص ٣٩٦: ص ٤١٥.

قَلَّدْتُ جِيدَ الْمَعَالِي حِلْيَةَ الْغَـــزَلِ وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ
لَوَلا التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَا ظَهَرَتْ مَزِيَّةُ الْفَـرْقِ بَيْنَ الْحَلْيِ وَالْعَطَـــلِ
فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِياً فَالْبَـــــازُ لَمْ يَأْوِ إِلَّا عَالِـــيَ الْقُلَلِ
قَدْ يَظْفَرُ الْفَاتِكُ الأَلْوَى بِحَاجَتِـــهِ وَيَقْعُدُ الْعَجْـــزُ بِالْهَيَّابَـــةِ الْوَكَـــلِ

...

بِئْسَ الْعَشِيرُ وَبِئْسَتْ مِصْرُ مِنْ بَلَدٍ أَضْحَتْ مُنَاخاً لأَهْلِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ
أَرْضٌ تَأَثَّلَ فِيهَـــــا الظُّلْمُ وَانْقَذَفَتْ صَوَاعِقُ الْغَدْرِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي عَمْيَاءَ مُظْلِمَـةٍ لَمْ يَخْطُ فِيهَـــا امْرُؤٌ إِلَّا عَلَى زَلَلِ

...

فَبَادِرُوا الأَمْرَ قَبْلَ الْفَـــوْتِ وَانْتَزِعُوا شِكَالَةَ الرَّيْثِ فَالدُّنْيَا مَعَ الْعَجَـــلِ
وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ شَهْماً أَخَـــــــا ثِقَةٍ يَكُونُ رِدْءاً لَكُمْ فِي الْحَـادِثِ الْجَلَلِ
مَاضِي الْبَصِيرَةِ غَلَّابٌ إِذَا اشْتَبَهَتْ مَسَـالِكُ الرَّأْيِ صَـادَ الْبَازَ بِالْحَجَلِ

وجـاءت قصـيدة البـارودي لتصـف أحـوال مصـر التـي سـاءت فـي عهـد الخـديوي إسماعيل، وأرهقت مصر الديون المتراكمة، وكثر تدخل الأجانب في شؤونها، وسخط الناس على هذا الحكم الفاسد، وأجمعوا على وجوب خلع هذا الحاكم، فهو في هذه القصيدة يحض الناس على ضرورة النهوض والثورة، فهو يهجو الحكام في زمانه بأنهم رجال شر وفساد، لذا يحض الناس على الجرأة والإقدام، وترك الاستكانة والتسليم مع ضرورة التيقظ والاحتراس، مفتخرا برجاحة عقله وسعة خبرته وكثرة تجاربه.. إن تعبير البارودي عن في الظلم الواقع على الشعب الذي هو واحد منه هي تقريبا نفس المعاني الواردة في لامية الطغرائي، وقد استخدام البارودي الكثير من ألفاظ لامية الطغرائي نحو: "الخطل" و"العطل"، فضلاعن لامية البارودي جاءت على قافية لامية الطغرائي ورويها.

فقول البارودي:

بِئْسَ الْعَشِيرُ وَبِئْسَتْ مِصْرُ مِنْ بَلَدٍ أَضْحَتْ مُنَاخاً لأَهْلِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ

قريب من معنى بيت الطغرائي: (١)

طال اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي ورحلُها وقرَى العَسَّالةِ الذُّبـــــلِ

كما يشبه قول البارودي:

فَبَادِرُوا الأَمْرَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَانْتَزِعُوا شِكَالَةَ الرَّيْثِ فَالدُّنْيَا مَعَ الْعَجَـــــلِ

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ شَهْماً أَخَـــــا ثِقَـــةٍ يَكُونُ رِدْءاً لَكُمْ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

معنى الطغرائي في قوله: (٢)

أريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها على قضاءِ حقوقٍ للعُلَى قِبَلي

والدهرُ يعكِسُ آمالي ويُقنِعُني من الغنيمةِ بعدَ الكدِّ في القَفَلِ

١_ الديوان: ص ٣٠٢.

٢_ الديوان: ص ٣٠٢.

(هـ) الخاتمـة:

إن عملية قراءة الأدب لا تتوقف بأي حال من الأحوال، فهي متجددة باستمرار من خلال تنوع القراءات التي يقدمها الأدباء والنقاد، هؤلاء الذين أخذوا على عواتقهم مهمة البحث والتمحيص، فعملية قراءة النص الواحد تتم من خلال رؤى وقراءات متباينة، تختلف باختلاف القارئ وثقافته، وقد استطاعت الدراسات الحديثة أن تفتح الباب على مصراعيه لإعادة النظر إلى تراثنا العربي وإعادة قراءاته عبر مناهج ورؤى نقدية جديدة.

وقد حظي شعر الطغرائي بدراسات متنوعة قديما وحديثا، وهو ما أكده البحث من اختلاف تلقي شعر الطغرائي قديما وحديثا، وإن كانت المعايير النقدية قديما تكاد تنحصر في شرح شعر الطغرائي لغويا، من خلال الوقوف على شرح معاني المفردات، وإن تخلل هذا الشرح بعض الآراء النقدية، لكنها لم تأتِ في دراسة مستقلة، بل جاءت في ثنايا هذه الشروح، من ثم تشابه منهجهم في التناول إلى حد كبير.

والأمر جد مختلف في قراءة هذا الشعر حديثا، إذ لم تنته القراءة عند القديم ولم تتوقف عنده، بل بالعكس تناول النقاد والأدباء في العصر الحديث شعر الطغرائي بقراءة جديدة، تتناسب مع روح العصر ومناهجه الحديثة، فنجد في بيئة النقاد والأدباء في العصر الحديث مناهج متعددة في التناول، فمنهم من تناول شعر الطغرائي في ضوء المنهج التحليلي، ومنهم من تناوله من خلال منهج نفسي، وتناوله أخرون من خلال منهج اجتماعي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اختلاف قراءة هذا الشعر من أديب إلى آخر، ومن ناقد إلى آخر.

وبعد الوقوف على شعر الطغرائي يمكن القول إن من أبرز وأهمها النتائج التي توصل إليها البحث هو ولع الدارسون منذ القدم برد معاني أبيات اللامية إلى أبيات شعراء سبقوا الطغرائي، كأنهم يريدون أن يثبتوا عليه أخذه عن غيره وأنه استل منهم معانيهم، بل وصل الأمر عند بعضهم إلى أبعد من ذلك فاتهموه بالسرقة، وفي مقدمتهم الصفدي الذي فتح الباب لمن جاء بعده في أن يسلكوا مسلكه وينتهجوا نهجه. والحقيقة أن الطغرائي كان ملما بالشعر العربي حافظا لروائعه، فأمر بديهي إذا أن تتسلل بعض معانيه إلى إنتاجه الشعري، سواء عن قصد من خلال التقليد والمعارضة، أو عن غير

قصد عن طريق تسرب الألفاظ والمعاني التي حفظها إلى لاميته دون أن يعمل هو على ذلك.

ومن ناحية أخرى فإن القصيدة جاءت تعبيرا صادقا عما يختلج في صدر صاحبها من شكوى ومرارة، حتى أنها جاءت في الوقت نفسه الذي عزل فيه، فلم ينتظر حتى يأخذ من هذا أو يقتبس من ذاك، وتؤكد الباحثة أن رد أبيات الطغرائي إلى غيره ليس بالعبث أو الأمر المستحيل، ولكنه لم يكن بأي حال من الأحوال بدافع السرقة، وإنما هو دليل قاطع على مدى غزارة محفوظه وسعة اطلاعه على أشعار السابقين، فهو بحق شاعر موسوعي الثقافة.

وتؤكد الباحثة أن الاهتمام البالغ باللامية لا يغض بأي حال من الأحوال من باقي شعره، إذ ضرب الطغرائي سهامه في أغراض الشعر المختلفة وأصاب، فتغزل ومدح، ورثى واشتكى، ضاربا أروع الأمثلة في الوفاء من خلال رثائه لزوجه، إذ جاء رثاؤه صادقا نابع من قلب مكلوم، ولعلّ شرح الصفدي للامية العجم من أكثر الشروح تأثيرا، وإن وقع المؤلف في فخ الاستطراد، الأمر الذي دفع الكثير من النقاد والشراح إلى انتقاده وقاموا بحذف ما لا علاقة له بالمتن، وإن كان هذا لا يعني بأي حال من الأحوال سلب قيمة شرح الصفدي لها، فلعل المهمة الرئيسة لشرح الصفدي تكمن في أن شرحه أصبح مستقلاً عن القصيدة، وتم إجراء دراسات مستقلة لانتقاد هذا الشرح، فقد انفرد الصفدي في كتابه "الغيث المسجم" بأمور يمكن إدراجها في مجال النقد الأدبي، فنجده مثلا ينتقد بعضا من شعر المتنبي، كما ينتقد غموض ابن الفارض وهو الذي يجنح دائما إلى السهولة.

إن شروح اللامية قديما وحديثا مهما تعددت وكثرت، ومهما افتخر بها أصحابها، فلا تعدو أن تكون كتبا في اللغة والنحو والبلاغة، فلم تجد الباحثة دراسة واحدة للامية قديما ترى أن من واجبها الغوص في أعماق النص واستنطاقه وتحليله، أو حتى أن تربط بين الشعر وصاحبه ونفسيته، عكس ما وجدناه في الدراسات الحديثة، إذ تعددت مناهج تلقيها. وبصفة عامة يخيم على شعر الطغرائي هدوء نفسي قلما تأنسه في شاعر غيره، هذه الصفة التي تجلَّت بشكل كبير في شعر الطغرائي عامة ولاميته المعروفة

خاصـة، فهـو الثـائر الهـادئ، الراضـي عـن نفسـه السـاخط علـى مجتمعـه، ومـع ذلـك يحتفظ بكونه هادئ النفس، رقيق الشعر، حتى في أصعب اللحظات التي مرت عليه في حياته، وفي مقدمتها وفاة زوجه في مقتبل عمرها، عزله من منصبه.

هذا الشاعر الذي طرق موضوعات الشعر المختلفة، فهو الشاكي من قسوة الأيام، وهو المادح الصادق في مدحه، وهو المتغزل العفيف، وهو الراثي المتوجع، وهو الذي يتملكه الفخر بنفسه أولا، حتى إنه عرف بالطغرائي وليس الدؤلي، وكأن لقبه هذا هو الذي يضيف إلى عائلته وليس العكس، على الرغم من عراقة نسبه، كما يفتخر بعلمه وبثقافته الواسعة وإلمامه وتبحره بشتى العلوم، خاصة الكيمياء، التي برع فيها وصرف عليها أموالا طائلة، تاركا فيها مصنفات ضخمة أضيفت إلى آثاره التي تركها لتخلد اسمه.

وفي النهاية تؤكد الباحثة أن مفتاح شخصية الطغرائي هو طموحه، فعلى الرغم من معاناته وما وجده من كره الناس له وحقدهم عليه لم يستسلم ولم ييأس، وظل رافعا صوته متسلحا بسيف الفخر وعزة النفس، ويجعل المجد هو هدفه الرئيس، فلا عيب أن يقع ولكن العيب في عدم قدرته على الوقوف مرة أخرى، وإن تسرب اليأس من نفسه واستولى عليه فهو بسبب هذا الظلم الشديد الواقع عليه، ويكاد يقترب الطغرائي هنا من المتنبي، فكلاهما محاصر بين واقع مرير مفروض عليه وآمال عاجز عن تحقيقها.

إن هذا البحث ما هو إلا نقطة في بحر واسع، لشاعر كبير، هُضِمَ حقه كثيرا، ولم ينل هو وشعره الذيوع والانتشار التي يستحقانها، ولعل هذا البحث المتواضع يحفزنا إلى درس الطغرائي بوصفه شاعرا فسيح الجوانب مديد الغايات، لدراسات تتخذ من (رؤية العالم) أو (السيميائيات) أو (الأنساق الثقافية)، (والحجاج)، و(التداولية)، أو غيرها من اتجاهاتٍ نقدية لدراسة شعره، وهو ما نرجوه في الأيام القادمة إن شاء الله،

والله الموفق والمستعان.

(و) قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. العكبري، أبو البقاء (ت ٦١٦ هـ): شرح لامية العجم: صورة عن المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية، تحت رقم ٥٢١ شعر تيمور.

٢. آقا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، النجف/العراق_ إيران/ طهران، ١٩٥٩ م، الطبعة الأولى، الجزء التاسع، القسم الثاني.

٣. إبراهيم محمد منصور: شروح لامية العجم، دراسة تحليلية نقدية، دار الحضارة للطباعة والنشر/ القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ م.

٤. أحمد بوحسن: "نظرية التلقي و النقد الأدبي العربي الحديث"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٢٤، بعنوان "نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات"، مطبعة النجاح الجديدة/ الدار البيضاء.

٥. أحمد عبد الكريم الملقى: التناص القرآني في شعر الطغرائي، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية/ الأردن، المجلد الخامس، العدد ٢، محرم ١٤٤٠ هـ _ أيلول ٢٠١٨ م.

٦. أحمد هادي زيدان: المرجعيات الثقافية في ديوان الطغرائي_ بحث في المضامين الشعرية: المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م.

٧. إدريس بلمليح: قراءة القصيدة التقليدية ، مطبعة أبي رقراق _الرباط، ٢٠٠٩ م.

٨. الأصفهاني، عماد الدين (ت ٥٩٧ هـ): خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، القسم العراقي، الجزء الثاني، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.

٩. الأقبرسي، علي بن محمد بن أقبرس (ت ٨٦٢ هـ): تحكيم العقول بأفول البدر بالنزول، مخطوط بدار الكتب المصرية، ق٢ أ– ب.

١٠. تازفيتان تودوروف: القراءة كبناء، ترجمة محمد اديوان، مجلة الفكر العربي المعاصر/ لبنان، العددان ٦٠ و٦١، ١٩٨٩ م.

١١. ابن تغري بردي، جمال الدين (ت ٨٧٤ هـ): المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ج ٢.

١٢. التيفاشي، أبو العباس: سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.

١٣. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال بالفجالة/ القاهرة، ١٩١٣ م.

١٤. جلال الدين السيوطي(ت ٩١١ هـ):

_الكنز المدفون والفلك المشحون، تحقيق الشيخ صالح محمد باعيسى، المطبعة العامرة/ القاهرة، ١٢٨٨ هـ.

_شرح لامية العجم للطغرائي، دققها أحمد علي حسن، مكتبة الآداب/ القاهرة.

_المحاضرات والمحاورات، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ.

١٥. أبو جمعة سعيد الماغوسي المراكشي (ت ١٠١٦ هـ): إيضاح المبهم من لامية العجم، دراسة وتحقيق محمد سعيد جبران، دار المدى الإسلامي/ بيروت، مايو ٢٠٠٩ م.

١٦. جواد شُبَّر: أدب الطَّفّ أو شعراء الحسين عليه السلام، من القرن الأول الهجري حتى أوائل القرن الرابع عشر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ م، الجزء الثالث.

١٧. ابن الجوزي، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ): المنتظَم من تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ١٩٩٥ م.

١٨. جين ب. تومبكنز: نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة حسن ناظم وعليّ حاكم، مراجعة وتقديم د. محمد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.

١٩. حاجي خليفة (ت ١٠٦٨ هـ): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٩٤١ م، المجلد الثاني.

٢٠. ابن حبيب الحلبي، بدر الدين (٧٧٩ هـ): نسيم الصبا، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٣٠٢هـ.

٢١. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ): أمل الآمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس/ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣١٥ هـ، القسم الثاني.

٢٢. حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، المجلد الرابع، دار التعارف للمطبوعات/ لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م، ج ٤.

٢٣. حسن العريبي الخالدي: الطغرائي في آثار المصنفين، المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م.

٢٤. حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر/ الدار البيضاء، ط٢، يناير ١٩٨٥م.

٢٥. الحطيئة، أبو مليكة جرول بن أوس: الديوان برواية وشرح ابن السكيت (ت ٢٤٦ هـ)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي/ القاهرة، (د.ت).

٢٦. خالد وهاب: جمالية التلقي والتأثير في ثلاثية أحلام مستغانمي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة/ الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥_ ٢٠١٦ م.

٢٧. ابن خلكان البرمكي (ت ٦٨١ هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر/ بيروت، ١٩٩٧ م.

٢٨. الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، تحقيق ومراجعة داود سلوم، وزميليه، مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.

٢٩. خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦ م.

٣٠. ابن الدهان الموصلي: (ت ٥٨١ هـ): الديوان، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف/ بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

٣١. الدماميني، بدر الدين (ت ٨٢٧ هـ): نزول الغيث، مخطوط بدار الكتب المصرية، ق ٣ أ. (مصورة).

٣٢. الدميري، محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ):
_شرح لامية العجم (وهو مختصر شرح الصفدي المسمى الغيث المسجم)، تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.
_مختصر شرح لامية العجم (وهو تلخيص غيث الأدب الذي انسجم)، تحقيق د. محمد شادي عربش، دار المنهاج/ جدة، الطبعة الثانية ٢٠١٨ م.
_المقصد الأتم في شرح لامية العجم، تحقيق د. حيدر فخري ميران و د. هاني الجراخ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ودار الرضوان للنشر والتوزيع/ الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٢ م.
٣٣. الذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ):
_ دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة، تقديم محمود الأرناؤوط، دار صادر/ بيروت، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م.
_سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م.
_العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م.
٣٤. راضية دهدوس وآسيا لقريوي: نظرية القراءة في الخطاب النقدي العربي_ عبد الملك مرتاض نموذجا، كلية الآداب واللغات/ الجزائر، ٢٠١٧_٢٠١٨ م.
٣٥. روبرت هولب: نظرية التلقي_ مقدمة نقدية، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٣٦. رينولد أ. نكلسن: تاريخ الأدب العباسي، ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي، المكتبة الأهلية/ بغداد، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٧ م.
٣٧. الزمخشري، أبو القاسم: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ج ٢، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.
٣٨. سامي إسماعيل: جماليات التلقي، المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.

٣٩. سرحان جفات سلمان: تلقي شعر الطغرائي دراسة في "الغيث المسجم في شرح لامية العجم"، المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م.

٤٠. سعدون محمود الساموك: الاستشراق الروسي دراسة تاريخية شاملة، دار المناهج للنشر والتوزيع/ عمان، ١٤٢٣ هـ_ ٢٠٠٣ م.

٤١. ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ): المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، شركة أمل/ القاهرة، عام النشر ١٤٢٥ هـ.

٤٢. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني/ بيروت، ١٩٨٥ م.

٤٣. السيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢ هـ): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة، الطبعة السابعة والعشرون، ج ٢، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

٤٤. السيد أحمد عمارة: دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق، مكتبة المتنبي، ٢٠٠٣م.

٤٥. السيد محسن الأمين الحسيني العاملي: أعيان الشيعة، الطبعة الأولى، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ج ٦، ١٩٣٧ م.

٤٦. الشنفرى، عمرو بن مالك (ت ٧٠ هـ): الديوان، جمعه وحققه وشرحه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م.

٤٧. ابن شهراشوب، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ): مناقب آل أبي طالب، تحقيق د. يوسف البقاعي، دار الأضواء/ بيرروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ_ ١٩٩١م.

٤٨. شوقي ضيف:

_ تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات: الشام، دار المعارف/ مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩٠ م.

تـاريخ الأدب العربـي، عصـر الـدول والإمـارات: الجزيـرة العربيـة العـراق_ إيـران، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.

_الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف/ مصر، الطبعة الحادية عشر، ١٩٦٠.

٤٩. الصفدي، صلاح الدين (ت ٧٦٤ هـ):

_ أعيـان العصـر وأعـوان النصـر، تحقيـق د. علـي أبـو زيـد وآخـرون، دار الفكـر المعاصـر/ بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ج ٣، ١٤١٨ هـ -١٩٩٨ م.

_ الغيث المسجم في شرح لامية العجم، طبعتي دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ، وطبعة المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٠٥ هـ.

الـوافي بالوفيـات، تحقيـق أحمـد الأرنـاؤوط وتركـي مصـطفى، دار إحيـاء التـراث بيـروت، ٢٠٠٠ م.

٥٠. الصـنعاني، ضـياء الـدين اليمنـي (١١٢١ هـ): نسـمة السـحر بـذكر مـن تشـيع وشـعر، تحقيـق كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت/ لبنان، ج ٢، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م.

٥١. الطغرائي، أبو إسماعيل: ديوان الطغرائي: تحقيق د. علي جواد الطاهر، ود. يحيى الجبوري، طبعة الدوحة الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.

٥٢. طه الراوي: لامية العجم، مجلة الصبح بغداد، العدد ٥_ ٧، ١٩٦٣ م.

٥٣. أبو الطيب المتنبي: الديوان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، تحقيق عبد الوهاب عزام، (د.ت).

٥٤. عباس هاني الجراخ: ديوان الطغرائي_ نظرات نقدية... ومستدرك، مجلة المورد، العدد الثالث، المجلد الثامن والأربعون، ٢٠٢١ م.

٥٥. عبد الحفيظ مصطفى عبد الهادي: التفاعل النصي في شعر الطغرائي، مجلة كلية الآداب_ جامعة حلوان، العدد ٢٧، ٢٠١٠ م.

٥٦. عبد الرحمن أبو سلامة: التناص في شعر الطغرائي، دار زهدي للنشر، الأردن، ٢٠١٥ م.

٥٧. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين/ بيروت_ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م.

٥٨. عبد العزيز حمودة:

_الخروج من التيه _دراسة في سلطة النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، (عالم المعرفة) نوفمبر ٢٠٠٣ م.

_ المرايا المحدبة _من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة _الكويت ٢٣٢، أبريل ١٩٩٨ م.

٥٩. عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي، صفي الدين الحلي: الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر/ بيروت، ١٩٩٠ م.

٦٠. عبد الله الغذامي: تشريح النص، المركز الثقافي العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

٦١. عبد المعين الملوحي: اللاميتان: لامية العرب_ لامية العجم، من شروح الزمخشري_ الصفدي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي_ دمشق، ١٩٦٦ م.

٦٢. عبد الناصر حسن: نظرية التلقي بين ياوس وآيزر، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢ م.

٦٣. العبيدي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٠٢ هـ): التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق د. عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ٢٠٠١ م.

٦٤. ابن العديم، كمال الدين (ت ٦٦٠ هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق حسين زكار، دار الفكر بيروت/ لبنان، ج ٦، ١٩٨٨ م.

٦٥. ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، المجلد السادس، ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦ م.

٦٦. عفيف عبد الرحمن: معجم الشعراء العباسيين، جروس برس طرابلس_ لبنان/ دار صادر_ بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

٦٧. علي بن إبراهيم النملة: إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي_ دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٦ م.

٦٨. علي جواد الطاهر:

_ الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، ج ١، مطبعة المعترف_ بغداد، ١٩٥٨م.

_ الطغرائي (حياته_ شعره_ لاميته)، مكتبة النهضة_ بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٣ م.

_ لامية الطغرائي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢ م.

٦٩. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤١٤ هـ _ ١٩٩٣ م.

٧٠. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الجزء الثالث من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ٤٠٠ هـ_ ٩٢٣ هـ، ١٠٠٩ م_ ١٥١٧ م (في المشرق)، دار العلم للملايين/ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩ م، الطبعة الثالثة ١٩٨١ م.

٧١. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠ هـ)، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى –د سعيد عبد الرحيم، أعاد صنع الفهارس: د عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام النشر: ١٤١١ هـ –١٩٩١ م.

٧٢. فولفغانغ إيزر:

_آفاق نقد استجابة القارئ، ضمن كتاب "من قضايا التأويل والتلقي " منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٤ م.

_ فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة: حميد لحمداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل_ فاس، ١٩٩٤م.

٧٣. كامل سلمان الجبوري: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، ٢٠٠٥ م.

٧٤. كرنكو: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مادة طغرائي، ترجمة صبحي، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ج ٢٥، فاتحة_ القادرية، ١٩٩٨ م.

٧٥. لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق/ بيروت، ط ٣٦، ١٩٩٧ م.

٧٦. محمد أمين (ت ١١١١هـ): نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية_ القاهرة، ١٩٦٨ م.

٧٧. محمد خرماش: فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات/ المغرب، عدد ١٠، ١٩٩٨ م.

٧٨. محمد علي المنياوي: تحفة الرائي للامية الطغرائي، نظارة المعارف العمومية، الطبعة الثالثة، المطبعة الأميرية بمصر، ١٩٠٦ م.

٧٩. محمد عوني عبد الرؤوف: جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، أعده للنشر وقدم له د. إيمان السعيد جلال، المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٨٠. محمد عيسى صالحية: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، معهد المخطوطات العربية/ القاهرة، ١٩٩٣ م، ج ٣.

٨١. محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون (الرابع عشر_ العشرين)، دار الفكر/ بيروت، المجلد الخامس، الطبعة الثالثة، ١٩٧١ م.

٨٢. محمود العامودي:

_ شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسن العكبري (٥٨٣ هـ_ ٦٠١ هـ)، مجلة الجامعة الإسلامية/ غزة، العدد الأول، ٢٠٠٢ م.

_ منهج الدماميني في اعتراضه على الصفدي في شرحه لقصيدة لامية العجم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، عدد ٣٠، ٢٠١٧ م.

٨٣. محمود سامي البارودي: الديوان، تحقيق علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة/ بيروت، ١٩٩٨ م.

٨٤. محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي، بين المذاهب الغربية الحديثة والتراث النقدي دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ،١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦ م.

٨٥. المستعصمي، محمد بن أيدمر (ت ٧١٠ هـ): الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٦ هـ -٢٠١٥ م، ج ٣.

٨٦. مسلم بن الوليد (ت ٢٠٨ هـ): شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق د. سامي الدهان، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الثالثة.

٨٧. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الأساسي (لاروس)، تونس، ١٤٢٠ هـ _ ١٩٩٩ م،

٨٨. ابن منظور المصري (ت ٧١١ هـ):

_ لسان العرب، تحقيق عبد الله عليّ الكبير وزميليه، دار المعارف/ القاهرة، ١٩٧٧ م.

_نثار الأزهار في الليل والنهار، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٢٩٨ هـ.

٨٩. ميثاق حسوني سلطان: دراسة صوتية ودلالية في شعر الطغرائي، مجلة الآداب_ العراق، العدد ١٠١.

٩٠. نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠٠٦ م، ج١.

٩١. نبيل محمد رشاد: الصفدي وشرحه على لامية العجم دراسة تحليلية، مكتبة الآداب/ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ_ ٢٠٠٧ م.

٩٢. النويري، شهاب الدين (٧٣٣ هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة_ الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٩٣. هانس روبيرت ياوس: جمالية التلقي_ من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة، ٤٨٤، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

٩٤. ابن هانئ الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ): الديوان، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ١٩٩٥ م.

٩٥. ابن الوردي الكندي (ت ٧٤٩ هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

٩٦. ولدان فائق: ترشيح القلم في لامية العجم، مطبعة عامرة_ القسطنطينية، ١٣٠٩ هـ.

٩٧. وليد سليم عبد الرحمن عبد النبي: الاغتراب الاجتماعي في شعر الطغرائي، مجلة كلية الآداب/ جامعة بورسعيد، العدد التاسع، يناير ٢٠١٧ م، ص ٣١١.

٩٨. ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ): معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م.

٩٩. يحيى شامي: موسوعة شعراء العرب، دار الفكر العربي/ بيروت، ١٩٩٢ م.

١٠٠. يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، دار صادر/ بيروت، مطبعة سيركس_ مصر، ١٣٤٦ هـ_ ١٩٣٨ م/ ج ٢.

١٠١. يوهان فوك: الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه د. سعيد حسن بحيري و د. محسن الدمرداش، مكتبة زهراء الشرق/ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.

١٠٢. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية/ القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤ م.

١٠٣. المنجد في اللغة العربية المعاصرة: مجمع اللغة العربية، دار المشرق، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

١٠٤. الموسوعة الثقافية: بإشراف د. حسين سعيد، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة_ نيويورك، دار المعرفة، مطابع دار الشعب/ القاهرة، ١٩٨٢ م.

105.Jauss: "Pour une esthétique de la reception"Gallimard 1978. P.49.